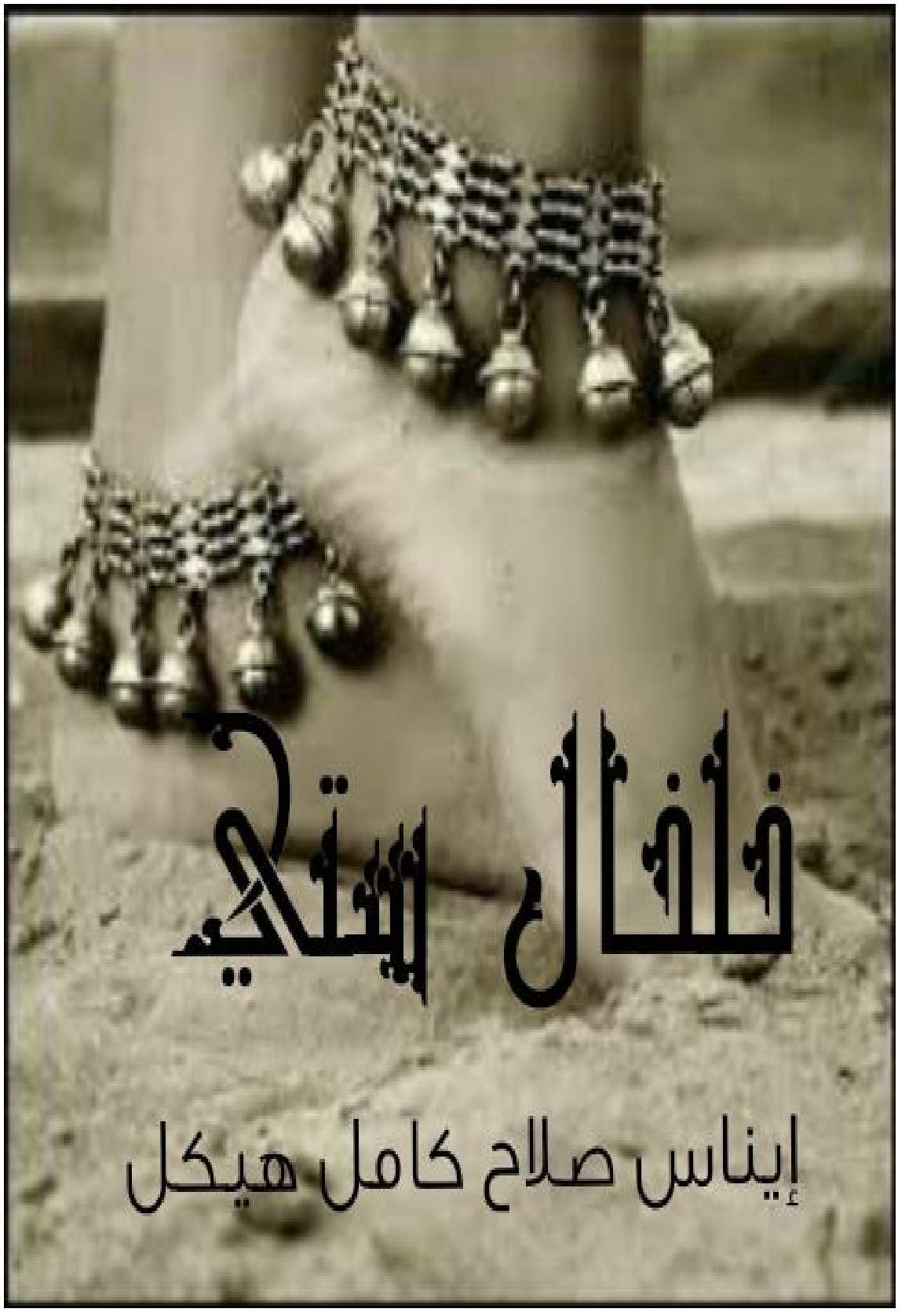
خلخال بلدي
إيناس صلاح كامل هيكل

خلخال ستي

المقدمة

ليس عليك قارئء الرواية الحبيب أن تعرف كيف ستنتهي الرواية و ما مصير كل
أشخاصها .....فبطل رواياتي هو تلك المشاعر التي مر بها كل شخوص
الرواية ....الحزن..القلق...الرغبة في
الانتقام ...الخذلان .ليس الأشخاص مِـ ْ ن أكتب عنهم لكنها المشاعر

إهداء ....

إهداء إلي ...صغيراتي

حسانة عصام و زهو عبد الحميد و سلمى هطوشي ....

خلخال ستي

وسط الحُطام إختلطت الظلال و تشابكت... الجميع منكب يبحث في بقايا الانقاض عن بقايا أشياء كانت لهم ... ..اما هي فجلست بعيداً تنظر أمامها حيث لا شيء.. بعيون مُثقله و قلب فارغ و عقل شارد ..جسد هامد غادرته الروح .. حاولت أن تهرب من مصير ظنت يوماً ما أنه ميراثها حتى وجدت قدماها تقودها اليه حيثما ذهبت ..... لكنها رغم ذلك لم تعود كما غادرت قبل 5 أعوام ..

قبل 5 اعوام ..بداية الحكاية

كانت قدماها تكاد تلمس الارض..تُسابق خُطواتها المتعثرة انفاسها اللاهثة و لا تكاد تلحقها ...

عيناها زائغة كلص مبتدئ يكاد يفضح نفسه... تضم كُتبها لصدرها كأم تحتضن طفلها و تضغط عليها بيداها الصغيرتان بشدة كالغريق الذي يتعلق بقشة... كان وجهها الصغير قد اغرقه العرق حتى طمس ملامحه و غطى على علامات الخزي التي ارتسمت عليه بعدما علت الاصوات خلفها... كانت تلتفت من حين لآخر و تعود بنظرها بسرعة... و في احدى اللفتات ما كادت تنظر للخلف حتى تعثرت فسقطت سقوطاً مدوياً و سقط معها ما تبقى من كرامتها ...قامت بسرعة برغم قوة السقطة و الجروح التي خلفتها الظاهرة منها علي يداها و وجهها و ما اخفته ملابسها... حملت كُتبها و اكملت بخطواتها السريعة و ما عادت تنظر للخلف ... لم تنتبه لما تركته ورائها و لا لمن جاء من خلفها ليلتقطه و يمضي في طريقه و كان شيئاً لم يكن... دلفت الى إحدى الحارات الضيقة... منازل متهالكة متراصة ..تفوح منها رائحة عطنة تشوبها روائح عطور رخيصة لا تزيد الوضع الا سوءاً ... كان المكان يعج بالبنات من كافة الاعمار... تكاد تتعثر فيهن من كثرتهم... اصواتهن تصدح ما بين

ضحكات و همهمات من الفتيات و مشاجرات بين الصغيرات... كانت تنتقل بينهن بسرعة تتمنى ان تكون مخفية... فلا يراها احد و هي تدخل الحارة.. حارتها... حارة الغجر كما يُطلق عليها... كان ذلك هو قدرها ان تكون أحدى ساكنات تلك الحارة فيطالها ما يطالهم... الغجر... هي تلك الفئة المُهمشة... متاجري الاعراض... .حيث ولادة الفتاة بشرى للخير الوفير و الرزق الواسع...فهن من يأتين بلقمة العيش و مستلزمات الحياة... هُن رأس المال... هن من يقتات عليهن الرجال ..يفتحن البيوت من عرق اجسادهن... تُعد الفتاة من يوم ولادتها لتلك المُهمة... لا يُستثنى احد و لا يُعفى احد و إن كنّ عشر فتيات فكلهُن يخرجن لكسب الرزق .و القيام بالدور الذي خُلقن من أجله و لا يعرفن في الحياة غيره... الايام متشابهه و الشهور تُسلم بعضها و السنوات تمر و الوضع على حاله ..لم يحاول احد تغييره و يبدوا أنهن لا يريدن ذلك...

كانت انفاسها لا تزال تتلاحق و عيناها لم تزل زائغة.. تتسابق قدماها لتقطع تلك المسافة المتبقية لتصل لمخبئها...ما كادت تصل حتى وجدت أيدي صغيرة تمسك برجلها تختفي ورائها بشقاوة ... أتفزعت من المُفاجأة و نفضت يد الصغيرة و ما كادت تنطق حتى سمعت صوت خلفها... صوت ميزته قبل ان تلتفت لتراه ..صوت رحمة ابنة خالتها

رحمة بغضب و هي تضم شقيقتها الصغيرة نحوها و تحملها : ايه يانوسه هو انت خلاص معدشي ليكِ عزيز يعني

نوسه بندم و قد تعلقت عيناها بالصغيرة التي دست وجهها في كتف أختها تُخفيه : معلشي بس و الله خضتني

رحمة بنظرة عتاب و هي تلتفت لتغادر : خضتك بردك يا نوسة و لا قرفانة منها.. عموما يا أبلة

معدتشي هتيجي عليكِ تاني لحسن تنجسك و لا حاجة

كانت نوسة ستهِم لتقول شيئاً و قد بدا عليها الاسف لما حدث لكن رحمة لم تنتظر و ولت مُبدرة لا تلوي على شيء فتنهدت نوسة بغُلب و دلفت داخل البيت مُنكسة الرأس... كان البيت ضيق جداً ذلك اذا تجاوزنا و أعتبرناه بيت... هو مجرد غُرفة لا تتجاوز مساحتها 3× 4 متر... أرضية طينية تفوح منها رائحة عطنة تُزكم الانوف و سقف خوص لا يقيها حر صيف و لا أمطار شتاء ناهيكم عن رياح الخريف الذي لم يصمد أمامها و لا مرة حتى و لو كانت مجرد هبّة خفيفة فكانت تقضي اياماً تلتحف السماء قبل ان يُشفق عليها أي من جيرانها فيُعيده مكانه لحين قدوم هبه اخرى فتُطيح به و تُعاد الكرّة و تظل هي من مُعاناه لآخرى و ذاك كان ميراثها... .

كانت الغُرفة تحتوي على كنبة بلدي يكسوها غطاء مُتهالك ينقشه بقع الاتساخات و اثار خياطة رديئة هنا و هناك.. في ركن اخر كرتونة ورقية تبدوا منها ثياب وضعت بغير اهتمام فتجد كُم لبلوزة و رجل لبنطلون و أشياء أخرى لا تُميز بالنظرة الاولى... هذا فقط كل ما في الغُرفة!

لا يوجد دورة مياة... أما اذا ارادت ان تقضي حاجتها او ان تستحم فعليها ان تذهب لاي من جيرانها الذين كانت تُحاول قدر طاقتها ان تجتنبهم و لكن كيف ..فعليها ان تتعامل مع أي منهم مرتان او ثلاثة على الاقل و كان عليها كذلك ان تُبقي علاقتها طيبة معهم حتى يتقبلوا أزعاجها لهم في أي وقت... اما عن المطبخ... و ما يكون فيه من موقد او ثلاجة فليس لها فيهما حاجة... هي لا تطبخ و من اين لها بمكونات طبخة و هي لا تملك ما تشتريهم بها و ماذا ستضع في الثلاجة و من أين تأتي لها بكهرباء فالغُرفة لا توجد فيها كهرباء فهي لا تحتمل ان تدفع فواتير كهرباء او مياة !

ما كادت تدلف اعتاب الغُرفة حتى القت بنفسها على الكنبه وخرج منها صوت تأوه ..تذكرت السقطة ..قامت من مكانها و مدت يدها لتُغلق الباب ثم عادت لتجلس بهدوء ..ألتفتت و مدت يدها مرة اخرى للخلف لتُغلق ضلفة النافذة الضيقة مكتفيه باشعة الشمس المتسللة من بين اعواد الخوص في السقف لترى ما خلفته السقطة على جسدها الضئيل... سحبت نفسها لأسفل لتجلس على الارض و مددت رجليها للامام ببطء ..شمرت إحدى رجلي البنطلون حتى ركبتها لتكشف عن جرح سيء اقشعر له بدنها و تألمت لمجرد رؤيتها له ..بدات تتحسسه باصابعها فيخرج منها تأوهات متألمة تدمي قلب من يسمعها... رجعت بظهرها للخلف و اسندت راسها على الكنبة و تنهدت بحُرقة و اغمضت عيناها فتفجرت انهار الدموع و سال ما سال من انفها و انطلق لسانها تدعو على اباها و امها تارة و تسب و تلعن بغضب و حقد اسماء من يؤذونها تارة ..و تارة اخرى تخاطب الله سبحانه و تعالى تعاتبه و تشكو اليه و تحلف عليه و تتحلفه حتى سكنت انفاسها و سكت صوتها و لم يبقى من

ثورتها سوى دمعة تسقط من حين لاخر ...

أحسان ... او نوسة كما يناديها كل من يعرفها... او البت الغجرية كما يشير اليها قرنائها و المدرسين في المدرسة... مضى على وجودها في هذا العالم البغيض اربعة عشر عاماً لم ترى فيهم اباً و لا أماً فقد رحلوا باكراً ... لم يرحلوا عن العالم... فقط عن عالمها هي... اباها مزارع ميسور تزوج امها الغجرية ليغيظ زوجته ابنة العمدة و يكسر شوكتها و لم يمضي معها سوى ليلة واحدة شعر فيها بفداحة خطاه فطلقها عشية اليوم التالي بعدما اجتمع به العمدة و أفهمه خطاه جيداً ..فطردها ..و لم يكتفي العمدة بذلك و لم يغفر لامها ما فعلته في ابنته فقرر ان ينتقم من الغجرية... لا بل من الغجر كلهم فخّرب عششهم و هجّرهم و حرق متاعهم... لم يُسامحها اي من عشيرتها على ما تسببت فيه لهم ..أجتنبوها ..حتى أمها لم تعُد تحدثها و لا تنظر اليها... طالما اعتبرتها ناكرة و نافرة من حياتهم ... تريد ان تتملص من عشيرتها و عُرفها لولا خوفها من

مطادتهم و ايذائهم لها... كان السبيل الوحيد ان تتزوج شخص من خارج طائفتم ... تريد ان تكون " ست الدار" كذلك كانت تحكي لها جدتها ... لكنها حين علمت بخبر حملها مادت بها الارض فقد تحطم كل ما تسعى اليه ..فمن سيقبل بزوجة لديها طفل و بخاصة لو كانت غجرية... بدات تبذل كل ما في طاقتها لتُسقط الجنين ..ولما علمت أمها وقفت لها و عقدت معها اتفاقاً ...أن ترعاها لحين ولادتها على أن تُعطيها الوليد و تصبح حُرة تذهب حيث تشاء.. و قد كان... و هكذا لم تعرف نوسة لها أباً و لا أُماً إلا تلك العجوز ذات الملامح القاسية ... كانت حنون ترى في عينيها أمان دنياها ..كانت حصنها الذي يقيها من شرور الملاعين كما كانت تْسميهم ستها ...كانت درعها التي تحتمي فيها ..كم تفتقدها... تفتقد حضنها و لمسات أصابعها على شعرها ..كانت تستقبلها دائما بكلتا يديها مفتوحتين فتاخذها في احضانها و تُجلسها في حِ جرها ..تربت على ظهرها و تَمسح على شعرها و تُغني لها تلك الاغنية...

كانت نوسة لا تزال مُغمضة العينين و هي تتذكر اغنية جدتها ..نوسة يا سمرا يا ام الخلخال الفضه

داري جمالك م النسوان الحاسده

نوسة يا سمرا يا اُم العِقد اللولي

عرسانك كترو كل يوم بيجولي

نوسة يا سمرا يا بنت العمده

حبك في قَلبـ ـيے. زي النار قايدة

كانت شفتاها تتحرك و بالكاد يخرج صوتها و هي تُردد الاغنية ..فتحت عيناها فجأة و اعتدلت و مدت يدها نحو احدى قدميها... انتفضت بفزع واقفة متجاهلة آلامها.. تبحث بعيناها على الارض عن

شيء.. خرج صوتها فجأه و هي تزفر نفسها بقوة

نوسة بهلع و قد احكمت قبضة يداها و عيناها قد تعلقت بالارض : ينهار اسود راح فين... يوم نحس من أوله ...

تحركت بهستريا للخارج بقدماها الحافيتان و بنطالها المشمر احدى رجليه... كانت كمن اصابه مس... تكاد تتعثر بخُطاها ..نظراتها زائغه عيناها متعلقه بالارض ..تتخبط هنا و هناك و لا تبالي... خرجت من الحارة الى حيث سقطت فحتماً وقع منها حينها... وصلت للمكان و لازال بصرها مُعلق بالارض ..لم تجده ..وقفت دقائق و قد ارتسم على وجهها كل معالم الحزن و التعاسة حتى طمس ملامحها فلا يرى الناظر اليها سوى بؤس متجسداً في لباس فتاة .تحركت بخُطى بطيئة تجر ازيال خيبتها و لازال بصرها معلق بالارض و من آن لاخر تسقط من عيناها دمعة تكاد تزلزل بها الارض من تحتها من شدة الالم التي حملتها به..

عادت للحارة و لا تزال غائبة عمن حولها حتى استوقفتها يد بقوة آلمتها ..

رحمة بغضب : هو كده يعني يا نوسة. ..

نوسه بتألم و قد رفعت نظرها نحوها : نعم

انصدمت رحمة من حالتها فاخذت تنقل بصرها تتأمل منظرها قدماها حافيتنا و رجل بنطالها مُشمر و حجابها مبعثر.. و وجهها غمرته الدموع و العرق حتى زرقة عيناها طُمس بحمرة ملتهبه من كثرة البكاء... لانت ملامحها و تبدلت بالحيرة و الشفقة ..فحررت يداها من قبضتها و نظرت نحوها متسأله

رحمة بخوف : مالك ..ايه اللي حصل... مين عمل فيكي كده

نوسه ببكاء شديد :خُلخال ستي وقع

رحمة بانفعال : ما قلنا لك كبير ع رجلك

نوسة مقاطعة بانهيار : ستي قالت لي مقلعهوش من رجلي

رحمة بغضب : ستك ماتــ

قطعت رحمة كلمتها مدركة فداحة الخطأ فهي تعلم مدى تعلق نوسة بتلك العجوز التي اعطتها اسمها و لم تعرف لها أهل غيرها... لا تزال تتذكر يوم رحلت امها و تركتها ..كانت ف الخامسة من عمرها تقف على مقربة تتلصص لتسمع ما يدور بين جدتها و خالتها التي ترفض إطعام الرضيعة و تصرخ في وجه الجدة مطالبة أياها بتنفيذ وعدها... لم تُدرك وقتها ما هو ذلك الوعد لكنها رأت جدتها تبصق على الخالة و تطلب منها الرحيل ..وضعت خالتها الرضيعة التي يكاد يصدُم صوت بكائها الاذان

على الكنبة و انطلقت خارجة لا تلوي على شيء و في لمح البصر اختفت و كأنها لم تكن ..هنا اقتربت رحمة من الرضيعة بخطى بطيئة فيما كانت عيناها على الجدة التي وضعت رأسها بين يديها و نكستها ..و فجأة تحركت الجدة و تناولت الرضيعة و وضعتها في حِ جرها و ظلت تهزها و تُربت على ظهرها محاولة اسكاتها ..أقتربت رحمة من جدتها و طبعت قبلة على جبين الصغيرة فابتسمت الجدة و ربتت على ظهرها بحب و قالت

الجدة بحُب : باستك العافية يا رحمة

فرحت رحمة و صعدت على الكنبة لتجلس بجانب جدتها و ظلت تمسح على قدم الصغيرة و تُقبلها من آن لاخر فترى سعادة الجدة تزيد و تلين ملامحها... و فجأة قامت الجدة من مكانها و بين ذراعيها الرضيعة و خرجت فلحقتها رحمة و امسكت بزيل جلبابها حتى لا تفقدها.... ذهبت الجدة لبيت جارتهم و كانت تُرضع ابنة لها فما ان

طلبت جدتها منها ان تُرضع لها الصغيرة حتى حررت ثديها من فم ابنتها لتضعة في فم الصغيرة اليتيمة و امها حية تُرزق... لم يكن ذلك غريباً فما لا يعرفه الناس عن نساء الغجر انهن مُعطاءات فيما بينهن...يحترمن الكبير و يوقروه... و من يومها ظلت الصغيرة تنتقل بين اثداء الغجر.. تقتات على ما يتبقى فيه بعدما يشبع صغارهم فاصبحت اخت و ابنة في الرضاعة لكل جماعتهم تقريباً ... و حتى بعدما كبرت ظل لها نصيب ثابت من الطعام في كل بيت تمر لتاخذه وقتما تشاء او يرسل اليها... نوسة السمراء صاحبة العيون الزرقاء اللامعة... كم احبتها و احبت الوجود معها... كانت تترك اللعب مع باقي قريناتها لتجلس بجانب جدتها و هي ترعاها حتى اشركتها الجدة ف تلك المهمه، تتركها معها و تذهب لتقضي حاجة لها فتحملها رحمة و تظل تنظر في عينيها بالساعات لا تفعل شيئاً سوى النظر في تلك الزُرقه الساحرة... ظلت قريبة منها لا تلعب سوى معها... تأخذ مصروفها فتشترك معها في صرفه و هي في قمة سعادتها..خافت كثيراً حين قررت الجدة ان ترسل

نوسة للمدرسة على غير عادة الغجر... خشت ان تفقدها... لكن و في أول يوم لها في المدرسة ظلت تبكي و تقول أنها لن تذهب الا اذا اخذت رحمة معها و بالفعل أمسكت رحمة بيدها فتشبثت هي بها و اوصلتها لباب المدرسة و وعدتها ان تنتظرها حتى ينتهي اليوم ..و ظلت جالسة امام بوابة المدرسة المُغلقة تنتظرها مُتحملة نظرات النساء المشمئزة لها و تحرش الشباب و الرجال بها لكونها من الغجر... و لكن كل شيء يهون من اجل تلك السمراء زرقاء العينين.... ظلت رحمة قريبة من نوسة ..كانت أختها الأثيرة و صديقتها الوحيدة بل و أبنتها المدلله... هي اول من أخبرها انها قد اصبحت انثى و اعدت لها قطع القماش التي ستستخدمها و لم تجد في قلبها جزع ان تغسلها لها حتى تعتاد الامر.. ... لا تزال تذكر ذلك اليوم التي هرعت فيه نوسه لأحضانها و هي مرعوبة تبكي و تتشنج و جسدها ينتفض.. هالها حالتها... أبعدتها عن حضنها و سالتها في بهلع ان كان اذاها أحد فجاء ردها الذي اشعل في قلبها سعير لم ينطفأ حتى اليوم..اخبرتها انها فجاة و هي في طريقها

للبيت وجدت من يجذبها من حجابها بقوة و أخر يشد بلوزتها و حين التفتت وجدت باقي صبية مدرستها يتضاحكون و يدفعوا بعضهم نحوها ليتلمسوها.و اشارت باصابع مُرتعشة نحو صدرها .. أعادتها لحضنها و ظلت تربت على ظهرها و تمسح شعرها لتهدأ ..و من يومها تغيرت نوسة كثيراً ..اصبحت بعيدة عن الكل حتى عنها الا عن جدتها... لم تعد تتركها تمشط لها شعرها و لا تلعب باصابعها و تدغدعها كما اعتادت... لم تعد تسمح لها حتى بلمسها و اذا حدث كانت تنتفض بفزع و تتسارع انفاسها و تظل هكذا دقائق حتى تهدأ و ترتسم على وجهها ابتسامة حزينة باهته تعتذر بها عن فعلتها... لم تفهم ما الذي اصابها لكنها متيقنه انها تتالم ...كانت نظراتها الحزينة سهام لا تُخطئ فؤادها و سكاكين تمزق أحشائها... .لكم حسدت جدتهما و هي تضعها في حِ جرها لتغني لها اغنيتها التي لم تُغنّى لاحد سواها.. كانت تنافس العجوز في حبها ....كان موت الجدة هي القشة التي قسمت ظهر البعير.. ماتت الجدة و نوسة في حِ جرها تُردد الاغنية بغير

وعي.... مازال منظر انتزاع نوسة من أحضان جدتها ليغسّلوا جثمانها و يدفنوه يطارد ذاكرتها كلما رأتها...لم تقبل ان تنتقل لتعيش معهم و اصرت ان تظل في الغرفة وحدها.. انتبهت علي صوت بكاء نوسة فأمسكت ذراعها و جذبتها لحضنها بقوة أجبرتها على الاستسلام لها و ظلت تربت علي ظهرها لتهدأ... فلما زاد بُكائها ابعدتها عن حضنها و مدت يدها تمسح دموعها و قالت

رحمة : يا هبلة ده فضة مش ذهب يعني محدش هيطمع فيه و بعدين بكرة هروح معاكي المدرسة و هخلي الابلوات يسألوا ف الفصول

ثم اضافت بجملة لو سقطت في بحر لمزجته و لو اصابت نهر لأفسدته... .

رحمة بتلقائية : لو عرفوا انه بتاع غجرية هيرموه أصلاً

توقفت نوسة عن البكاء فجأة و نظرت لرحمة نظرة المذبوح لمن يحمل السكين الذي اجهز عليه ..نفضت ذراعها من قبضة رحمة و اعطتها ظهرها و انصرفت عائدة للحارة... ادركت رحمة فِعلتها فلم تحاول ان تستوقفها او توضح لها مقصدها خشية ان تزيد الطين بِله و ذهبت خلفها عائدة للحارة و رأسها منكس ترفعه من آن لاخر لتلقي نظره على نوسة التي تسبقها بخطوات تحاول رحمة ان تحافظ عليها حتى لا تفقدها أو تسبقها....

وصلت نوسة للبيت.. دلفت و أغلقت الباب ثم النافذة و هوتّ على الارض بتعب ..أسندت ظهرها للكنبة و مدت رجليها بتألم. انحنت للامام تفحص جرحها... .كان الجرح قد تلوث بالتراب الذي أمتزج بالدم فخلف قشرة التصقت به فبدا منظرها مؤلم... بدأ صوت بكاء ضعيف يخرج منها و هي تتلمس جرحها بأصابع مرتعشة ...مدت يدها و رفعت غطاء الكنبة و جذبت صينية بها قُلة المياة وضعتها بجانبها...صبت الماء في الصنية و حررت حجاب شعرها و امسكت بطرفهُ و غمستها

في المياة و شرعت في تنظيف جرحها و صوت تألمها يزداد شيئاً فشيئاً ... أعتدلت و عادت بظهرها لتستند على الكنبة و بدات تُجهش في بكاء ينتفض معه جسدها الضيئل و هي تدعو علي ابيها و امها و تذكر أسماء كل من اذوها... حتى جدتها لم تسلم من دَعواتها ..

نوسة ببكاء شديد : منك لله يا ابا.. منك لله يا اما... ربنا يخدكم و يشلكم و يجيلكم جرب ما حدش يرضى يقرب لكم... يا رب يولع فيك البابور يا اسماء انت و نهي و ياسر... يا رب العربية تاكلك يا محمود و هاني و تتشلي يا ابلة حنان ..

تتوقف نوسة قليلاً تلتقط انفاسها و تتذكر اسماء اخرين و تعود

نوسة بصوت مُتهدج : ربنا يخدك يا رحمة و تعمي ..منك لله

ثم اجهشت في بكاء شديد قطعته بصوت صراخها و هي تنادي علي جدتها بحُرقه

نوسة صارخه ببكاء : سبتيني لمين يا ستي... .منك لله ربنا يخدك.. سبتيني و روحتي ليه... كنتي خدتيني معاكي... منك لله ربنا يخدك... انا مبصعبشي عليكي... .يا رب يخدك ..

ثم عادت تنادي عليها بحرقه

نوسة : يا ستي... ردي عليه يا ستي

ثم اجهشت في بكاء مرير يُدمي القلوب حتى سكن صوتها قليلا و ارجعت راسها للخلف و مدت يدها لحجابها الملقى بجانبها و مسحت وجهها به و أنفها ثم كومته بغضب و القته بعيداً ... بدأت انفاسها تهدأ و لا تزال دموعها تسقط بغزارة... .كانت قد اغمضت عينها... ظلت هكذا حيناً و فجأة تحركت

شفتاها بصوت خفيض ..

نوسة :يا رب خليني الاقي الخُلخال و معتش هطلب منك حاجة تانيه... و الله ما عنتش هطلب حاجة بس خليني الاقيه... يا رب لو انت تقدر تعمل اي حاجة خليني ألاقيه...

و هنا علا صوت بُكائها ثانيه و هي تميل بجسدها لتتمدد على الارض متوسدة أحدى ذراعيها و تُغطى بيدها الاخرى وجهها... ظلت على تلك الحاله لفترة حتى سكن بكائها و أستغرقت ف نوم عميق... .

انتبهت على يد تُزيل شعرها عن وجهها... فتحت عيناها المتورمة من كثرة البكاء بصعوبة... وجدت رحمة تبتسم لها بحنو فاغلقت عينها و وضعت يدها على وجهها تُخفيه ..تغير وجهه رحمة و أختفت البسمة من على وجهها و قربت وجهها منها و قالت

رحمة بحزن : حقك عليه يا نوسة ...

زفرت نوسة بقوة و لم ترد فاغرورفت عين رحمة بالدموع و قالت بصوت باكي و قد قربت وجهها اكثر من وجه نوسه

رحمة ببكاء : يا رب اتشل ما اقصد ازعلك يا نوسه... يا رب القطر يقطعني ما كان قصدي

ثم اجهشت ف البكاء و قالت و هي تزيل يد نوسة من على وجهها

رحمة : يا رب اموت تصالحيني ..و النبي ..عشان خاطر ربنا ..

اعتدلت نوسة و لانت ملامحها... فاستبشرت رحمة و ابتسمت و لازال صوتها باكي و عيناها

دامعة...

رحمة و هي تمسح وجه نوسة مستعطفاها :
نتصالح بقه.. و رب الكعبه ما بقصد ازعلك و
النعمة الشريفة اني بحبك و مقدرشي ازعلك

نوسة بصوت بالكاد يُسمع : كل مرة بتضايقيني

رحمة مقاطعة و قد امسكت بيد نوسة تُداعبها : بس
و رحمة ستي ما ببقي قاصدة ..تعالي بقه هاتي
بوسه يا سكر

ضحكت نوسة و ارتمت في حضنها... ثم ابعدت
نفسها عنها و قالت

نوسة بتلعثم : هلاقي الخُلخال يا رحمة مش صح

رحمة ضاحكة : هتلاقيه ياختي متخفيش و معنتيش تلبسيه لحد ما اقصه و اضيقه ليكي

نوسة و هي تنتفض واقفة : قشطة ..هقوم البس عشان الحق الطابور و ما اقفشي مع المتاخرين

رحمة و هي تقوم واقفة : و انا هجيب لك ساندوتشات و اروح لك المدرسة و اكلم ابلتك تسال ف الفصول عليه ..

تحركت رحمة للخارج و قد بدا على وجهها السعادة و انحنت نوسة على الكرتونه التي تضم ثيابها لتجد لها شيء نظيف ترتديه... .

كانت رحمة في طريقها للمدرسة و في يدها لفة ورقية تحملها في سعادة و اهتمام فقد أوصت صاحب محل الفول بساندوتشات مخصوصة لفتاتها المدلله... ما ان اقتربت من المدرسة حتى وجدت تجمهر و سيارة إسعاف واقفة... تبدل وجه

رحمة و تسارعت دقات قلبها و اسرعت خطواتها لتفهم ما الذي يحدث ..و فجأة سقطة اللفه من يدها حين سمعت الاصوات الصارخة من حولها تُردد جملة " الغجرية الفاجرة موتت محمود

..توقف قلبها و تجمدت اوصالها و فزعت بخطوات متعثرة بعيون متطلعة نحو المدرسة تبحث عن ابنة خالتها... لكنها فجاة توقفت و شرعت تجري بعيداً حين سمعت احدهم يقول أن الغجرية قد هربت... كان عقلها تتصارع فيه الافكار حتى كاد يصرعها... اين تكون قد ذهبت... .كانت تتلفت هنا و هناك تبحث في الوجوه عنها... وصلت للحارة... استوقفتها اختها الصغيرة ممسكة بقدمها على حين غرة منها فوقعت على الارض... رغم قوة السقطة الا انها قامت من فورها و اكملت جريها تلهث بالكاد تاخذ نفسها... وصلت للغرفة التي تسكنها نوسة... دفعت الباب فانفتح ... وقفت للحظة و دارت ببصرها في المكان ..ثم تحركت بهستريا تبحث تحت الكنبة و في كرتونه الثياب حتى غلبها الياس فانهارت تبكي و تنادي... و ترمي الثياب هنا و هناك و كانها ستجدها مختبئة

بين طياتهم و لما تملّ ك منها العجز رقدت على ركبتيها و اجهشت في بكاء شديد... و بعد دقائق قامت منتفضة من مكانها و هرعت للخارج تعرج بأحدى قدميها من اثر السقطة التي سقطتها قبلاً ... كانت تضغط عليها فيبدوا وجهها متألما و عيناها تجود و كأنه نهراً قد وجد مجراه...دلفت من مدخل بيت متهالك لا يوجد به باب... صعدت درجات سلم متكسره... وصلت للسطوح جرت باتجاه باب غُرفة و بكل ما بقى بها من طاقة أخذت تطرق الباب و تُجهش في البكاء... بعد برهه مرت كدهر فُتح الباب كاشفاً عن امرأة أربعينية فارهه الطول ممتلئة القوام ترتدي جلباب مزركش ضيق يُظهر كل مفاتنها و تضع حُمرة شديدة على خديها و كُحل ثقيل يُظلل جزء كبير حول عينيها طمست بهما ملامحها ..كان ردها سريعاً ..

المرأة بتافف : ايه اللي جابك الساعة دي ..

رحمة ببكاء و هي تلتقط انفاسها : نوسة قتلت واحد

المراة بغير تصديق صارخة : انت اتخبلتي ف مخك ..

رحمة ببكاء شديد : و رحمة النبي ما بكدب ..

المرأة بصدمة : قتلته مات يعني

رحمة ببكاء : اه و هي هربانة و مش لاقياها

المرأة تحركت للداخل بسرعه و التقطت عباية سمراء من على مسمار مثبت على الحائط و بدات في ارتدائه و هي تتحرك للخارج بسرعه و لسانها يسب و يلعن ..لحقتها رحمة و قد زادت عرجتها و عيناها لاتزل تجود... تتنفس بصعوبه... فجأة توقفت و التفت المرأة فتوقفت رحمة على آثرها و

نظرت لها بأستغراب و قالت

رحمة بأستغراب : وقفتي ليه يا أما

المرأة صارخة بغضب : مش عارفة اروح فين و اجي منين

رحمة مقاطعة : هنروح ندور على نوسة .

المرأة بغضب مقاطعة : و بعدين يا روح أمك...

رحمة بأنفعال : نخبيها.. نهربها... يعني نسيب البت تروح بلاش

المرأة بتهكم :نخبيها فين يا مُتخلفه... هي شنطة هنخبيها... و نهربها فين ..

رحمة بصدمة : يعني ايه... نسيبها

المرأة بتأثر : و ف أيدي ايه اعمله...

رحمة ببكاء : أبعتيها لابوها و لا لامها يا اما... كفايه بهدله كده

المرأة بغضب : و انا اعرف ليهم طريق ..

رحمة صارخه : علي انا ..و الخمسين جنية اللي بيجولك كل شهر من امها

المرأة بانفعال : هو انا بدسهم في جيبي ماهي بتاكل بيهم... طب و رحمة أمي اني ما باخد مليم منهم

رحمة مقاطعة باستجداء : و رحمة النبي يا اما متعملي كده....

و فجاة قالت بحماس و كانها تذكرت شيئاً : طب بصي بلاش امها... هاتي شهادة ميلادها الحقيقية و نبعتها لابوها..

صمتت رحمة و ظلت تتطلع لوجه امها التي بدا انها تفكر في الامر فاضافت تستحثها ..

رحمة : نبعتها لابوها و نبقى مقصرناش معاها... .يلا يا اما مفيش وقت لكده ..

تطلعت المرأة لوجه ابنتها بتمعن و هي تستحثها بلهفه... فرفعت حاجبها و أتسعت شفاها بأبتسامة لئيمة لم تحاول حتى ان تُخفيها و قالت

المراة : طب و انا هستفيد ايه

انصدمت رحمة من رد فعل امها لكنها لم تتوقف طويلاً لتفكر في رد مناسب فهي تعلم ان ليس لدى

نوسة ما تُقايضه في مقابل حياتها و ليست واثقه من تقبل اباها لها رغم سعيها لارسالها له فأمسكت بيد امها تدفعها للتحرك و هي تقول

رحمة بهدوء : هاتيها و هحاسبك ..

تحركت المرأة ببطء و هي تنظر لابنتها تتبين منها صدقها فتلاقت عينها معها فأومأت رحمة براسها موافقه و قالت

رحمة : اه اللي ف بالك و خلصينا بقه خليني اروح ادور عليها قبل ما حد يلاقيها قبلي ..

اتسعت أبتسامة المرأة و سرّ عت خُطاها تستحثها يد ابنتها رحمة التي غابت بعقلها ليس في شان ما قد اقدمت عليه لكن في اين ستجد تلك الفتاة المأفونة و ماذا سيحدث لها... ...

طوت الورقه و وضعتها في صدرها ثانيه و قامت تتسند على نفسها و قد عادت ملامح الالم ترتسم على وجهها... لا تدري اين تكون قد ذهبت تلك الفتاة... وضعت يدها على فمها فجأة و شهقت و اخذت تقترب بفزع بإتجاه الترعه... هل تكون قد القت نفسها في الترعة.... انهارت رحمة و سقطت مكانها لما وجدت شيء يلمع على حافة الترعه و وجدته خُلخال نوسة... كيف وصل الى هنا الا اذا كانت قد انتحرت... امسكت رحمة الخلخال بيدها و قبضت عليه بقوه و اجهشت ببكاء كاد يخلع ضلوعها و يمزق كبدها.... كانت تلطم خدها حيناً و تصرخ حيناً و تنادي على نوسة احياناً اخرى... بقيت على ذلك حتى عتمت السماء... سكن صوتها او بالادق غادرها فلم يعد لديها طاقه لتتكلم و لكن عيناها لاتزال تنزف و رائحة كبدها المحترق من القهر و الحسرة يكاد يُزكم انوف الموتى من تحت التراب...لم تكن تلك الفتاة ابنة خالتها... كانت ابنة عمرها التي لم ينجبها رحمها... تلك العلقه التي علقت بلباب قلبها و لم تعلق بحشاها... المضغة التي نمت صفصافة حب تكاد تبلغ

السماء....لاتدري كيف احبتها كل ذلك الحب و هل يمكن ان يحب انسان اخر كل ذلك القدر... لكنها متيقنه انه لو ما كان ذلك الذي تشعر به تجاهها هو الحب فليس هناك للحب معنى اخر.. ظلت رحمة في حالة صدمة تنظر للمياه و هي مذهوله.. لا تُصدق... تنتظر الجثة حين تطفو لتضمها و تواريها حضنها... عادت بذاكرتها قبل ان تتغير نوسة... حين كانا يقضيان الليل بطوله يتسامران عن احلامهما...كانت تنظر للمياه و قد عكس القمر ضوءه عليها و كأنها تنظر في عين نوسة و هي تقول بابتسامتها الحزينة و نظراتها التي تشي باليُتم و الغلب...

نوسة : انا نفسي يكون عندي مطبخ و فيه حلل و كوبيات ملونه و حمام فيه دُش استحمى بيه بدل الصفيحة و نفسي ف كومودينو كده جنب السرير و عليه اباجورة و نفسي ف سرير كمان واحد ليه و واحد لستي.. و نفسي اخد درس انجليزي و ابقى شاطرة فيه و نفسي.....

ظهر شبح ابتسامة على وجه رحمة و هي تتذكر احلام تلك اليتيمة و والديها علي قيد الحياة... احلام هي اقل من ان تكون حق مفروض و بديهي لانسان... عادت تجهش ف البكاء و تصرخ صرخات تُدوي ف الأرجاء تكاد توقظ الموتى و صوت نوسة يصدح بداخلها تحكي عن تلك الاحلام التي يولد بها الجميع...نفسي افطر و اخد بردك ساندوتشات المدرسة و نفسي اتعشى كل يوم اندومي.. بس اعمل شوربه مش أكله ناشف كده.. و نفسي ف العيد ألم عيدية كتيييير و اجيب ساعة و منبه بدل ما بتأخر كل يوم ع الطابور و ألم الزباله.. كانت تختم جملتها بضحكة حزينة تُكمل بها مأساتها..

في إحدى قرى محافظة الشرقية... منزل فخم مكون من 4 طوابق يبدو رغم ذلك محتفظاً بطابع الريف لما يُحيطه من اراضي زراعيه و وجود حظيرة مواشي و قُرن طين في ساحته الخلفيه و يحيط بهم سور منخفض و بوابة حديدية تُفتح في الصباح الباكر و تغلق في ساعات متأخرة من الليل....كانت

الساعة تقترب من الثانية عشر... ظهر شاب ثلاثيني من شُرفة الدور الثاني و في يده كوب شاي.. استند على السور و اخذ يرتشف منه و فجأه شخص بصره و انتفض حين رأى فتاة توقفت أمام البوابة ثم تهاوت أرضاً ... اسرع الشاب يلحقها.. فأستوقفته أمه و قد كانت في طريقها إليه..

الأم بتعجب : رايح فين يا خالد

خالد مُسرعاً : مش عارف يا ماما

أضطربت الام من مشهد ابنها و أسرعت خلفه... كان قد سبقها و وصل للبوابة...وجد فتاة ضئيلة الحجم فاقدة للوعي.. حاول افاقتها بضرب خدها برفق فهلعه حرارة وجهها...كانت أمه قد لحقت به..وقفت على مقربه و بدا عليها الفزع..

الام بفزع صارخه : مين دي يا خالد..

خالد و هو يحملها بين ذراعيه : مش عارف....

تحرك خالد بسرعه و وضعها على كنبة خشبية في جنينة البيت ثم أسرع للداخل و عاد و في يده كوب ماء.... كانت امه تقف بالقرب من الفتاة و يبدوا عليها القلق...

الام بقلق :هي مالها

خالد و هو يمسح على وجه الفتاة بالماء : مش عارف شكلها محمومة..

ظل خالد يمسح وجه الفتاة بالماء فلما لم تستجيب حملها ثانيةً فأستوقفته أمه بفزع

أمه بفزع صارخه : رايح بيها فين

خالد و هو يتحرك دون ان يلتفت : هدخلها في الدفا جوه يا ماما

امه بغضب و هي تمسكه محاوله استوقافه : جوه فين

لم يتوقف خالد و أكمل طريقه فلحقته امه بتذمر... دخل احدى الغرف في الطابق الاول...و وضعها في فراش بدا نظيفاً و مُرتباً ... و ما كاد يعتدل واقفاً حتى جذبته امه من ذراعه لينتبه لها وصاحت به غاضبه

الام بغضب : ايه اللي بتعمله ده... جايب لنا بلوه

خالد و هو ينقل بصره بين الفتاة و امه : انا مجبتش حد.. و بعدين المفروض اعمل ايه لما الاقيها واقعه قدام البوابه... اجيب مقشه و اكنسها بعيد..

الام بغضب : بتتريق عليه... لأ لا تكنسها و لا تدخلها سيبها مكانها حد تاني يجي ياخدها

رفع خالد حاجبه متعجباً من رد امه و هز راسه وانصرف خارجاً فلحقته امه...

الام بغضب : انت رايح فين دلوقتي

خالد و لم يلتفت لامه : هروح اجيب لها حد يشوفها

الام و هي تمسكه بقوه فتوقف و نظر نحوها بنفاذ صبر : حد مين و يشوف فيها ايه احنا مالنا

خالد و هو يحرر نفسه : لاحول ولا قوة الا بالله... حد دكتور يا ماما و يا ستي اعتبريها صدقة لروح بابا الله يرحمه...

صمتت الأم على كره منها و ما ان انصرف ابنها حتى عادت و وقفت عند باب الغُرفة تنظر للفتاة ذات الثياب الرثة و الملامح التي طمسها الوحل....

قبل 21 ساعة...كاد الفجر ان يبذغ و رحمة على وضعها لازال بصرها يعانق صفحة المياة و عيناها لم تفتر من البكاء و صوت نوسة لم يزال يصدح بداخلها فيمزق حشاها و يعتصر فؤادها.. تظل دموعها تهبط في صمت ثم تنهار فتُجهش في البكاء و تتأوه بصوت عالي تنادي على نوسة... تحاملت على نفسها فجأة و قامت و هي مُنكسة الرأس تعرج و اتجهت صوب المدافن... كانت بلا ابواب فقط سور منخفض يُحيطها لا يحفظ لؤلئك الموتى حُرمه لاجسادهم فمتى يدفن احدهم هنا حتى يأتي سماسرة الجثث فيعبثوا عبثهم و يأخذوا حاجاتهم و لا يهتموا حتى ان يوارو ما بقى من الجثه ذلك ان بقي شيئاُ فيأتي الكلاب و السباع تنهش ما تبقي و ما الضير اذا كانوا قد نبذوا على الارض ان تلفظهم باطنها.... عبرت البوابه كان المكان قاحلاً و رائحة

الموت تفوح منه... مشت بين الشواهد تعرف طريقها.. رفعت بصرها بغير اهتمام ثم اعادته لاسفل.. اننفضت جسدها و رفعت بصرها تانية.. فتحت عينها على آخرها.. اتكون هي... ظلت تردد تلك الجملة و تحرك شفاها بها... هي هي هي... اسرعت خطواتها بصعوبة حتى بلغت احدى الشواهد حيث ترائى لها من بعيد شيئاً يرقد فوقه... ارتمت عليه بكل جسدها لتتحقق منه... كانت هي... كانت نوسة.... تحتضن تراب قبر جدتها... جذبتها رحمة فانتفضت مفزوعة و ظلت تصرخ فوضعت رحمة يدها على فمها...

رحمة ببكاء : شششششش انا متخفيش... بس بس اسكتي اهدي..

ظلت تردد جملتها و تومأ براسها تؤكد كلامها حتى هدأت نوسه..و ما ان حررت يدها عن فمها حتى انفجرت في البكاء و ارتمت في حضنها.... تبكي و ينتفض جسدها...بعد دقائق و لمّا لم تهدأ فورتها...

ابعدتها رحمة عن حضنها و مدت يدها بطرف حجابها تمسح وجه نوسة الغارق بالدموع و المُغبر التراب فزادت الطين بِله و طمست ما بقى من ملامحها الرقيقة... ظلت تُربت على صدرها حتى هدأت قليلا... فابتسمت لها رحمة تطمئنها و قالت

رحمة بابتسامة : متخافيش... روقي كده و احكي لي ايه اللي حصل

انفجرت نوسة ثانيه في البكاء و هي تحاول ان تستجمع الكلمات مما جعل رحمة تنفعل عليها و تصفعها على وجهها لتجذب انتباهها... امسكت راسها بين يديها بقوة و قالت

رحمة بغضب : لو محكتيش بسرعه مش هعرف اعمل لك حاجة.. قتلتي الواد ليه

نوسة بفزع صارخة و هي تلطم خدها : مقتلتوش و رب الكعبه ما قتلته... و رحمة النبي ما قتلته... و

النعمة الشريفة ما قتلته

رحمة بغضب مقاطعة : طب انطقي ايه اللي حصل..

نوسة ببكاء : خبطته بالطوبه ف دماغه

رحمة بصدمة : طب ليه

نوسة ببكاء : عشان سافل و ابن كلب... ربنا ياخده و يتشل و..

رحمه مقاطعه بنفاذ صبر : انطقي عمل لك حاجة

نوسة ببكاء : كنت واقفة مستنيه بوابة المدرسة تفتح... ببص كده ع العيال يعني عادي

رحمة بنفاذ صبر : خلصي يا بت

نوسة باكية : ما انا بقول اهو... لقيت اللي يتشل محمود ده بيضحك لي... فبصيت ف الارض... جايه ببص تاني لقيته بردك بيضحك لي.. غصب عني ضحكت...اتاريه مفهم العيال اني ماشية معاه واني.....

لم تكمل كلمتها و اجهشت في بكاء شديد... فهمت منه رحمة قصدها

رحمة بغضب : طب و عرفتي منين..

نوسة ببكاء :و انا داخله المدرسة لقيت هاني جاي يقول لي عاوز ليله زي محمود و تذكار و هديك عشرين جنية... و لقيت الصبيان كلهم اتلمو عليه و محمود ماسك الخلخال و عمال يلفه ع صبعه و الصبيان يصفروا... قعدت اقول لهم انه كداب و انه

سرق الخلخال مني قعدو يشتموني...

عادت لتُجهش في البكاء فمدت رحمة يدها تمسح دموعها و تحثها على التكملة

نوسة ببكاء : بعدين قلت للي يتشل محمود يديني الخلخال بتاعي مرضيش و قعد يحدفه لفوق و يلفه ع صبعه... روحت ماسكه طوبه و رميته بيها فجات ف عينه وقع الخلخال أخذته و طلعت اجري... جيت اقعد مع ستي.. مكنتش اعرف انه مات و النعمه... محدش بيحبني غيرها... معنتش عاوزة اروح المدرسة.. انا هقعد هنا مع ستي..

ارتمت نوسة ثانية على الثُراب تُمرغ وجهها به و تتشبث به بقبضتيها... تبكي و تخبط رأسها في الارض و كأن ألمها الداخلي لا يكفي فأرادت أن تستحث عيناها على البكاء.....

وضعت رحمة وجهها بين يديها تُخفيه و ظلت تبكي... لكنها توقفت فجاة و مسحت وجهها بيدها ثم بطرف جلبابها مسحت انفها و اعتصرت عيناها ثم اجتذبت نوسه لتبعدها عن التراب و وجهت وجهها نحوها فاجبرتها على النظر لها....

رحمة بتماسك : بصي لو فضلتي هنا هييجو يمسكوك و هتتعدمي

نوسة ببكاء مفزوعة : تتعدمي...

ثم اضافت و هي تلطم خديها : انا مظلومة... و رحمة النبي مش عاوزة أموت

رحمة بغضب : طب اسكتي بقه و اسمعي..

انتفضت رحمة واقفة و جذبت نوسه لتقف هي الاخرى و أمسكتها من كلتا ذراعيها و نظرت في عيناها لتبعث فيها الاطمئنان و اتسعت شفاها بابتسامة حنون و قالت

رحمة : هبعتك لابوكي...

توقف الاتوبيس مُعلناً وصوله اخر محطاته... هبط الركاب جميعهم... كانت رحمة تحتضن نوسة التي استغرقت في نوم عميق و تتطلع من شباك الحافلة تفكر كيف ستُقدم نوسة لعائلتها و ماذا ستفعل ان لم يقبلوا بها... انتبهت على صوت السائق..

السائق : يلا يا اما وصلنا..

اعتدلت رحمة في جلستها و التفتت لنوسة لتوقظها و ما ان لمست يدها وجهها حتى اقشعر بدنها و بدا عليها القلق..

رحمة بخوف و هي تحاول ايقاظ نوسة : بت يا نوسة... بت

السائق بنفاذ صبر : خلصونا بقه..

رحمة برجاء : طب ايدك معانا الله يبارك لك انزلها

نزل السائق و تناول يد نوسة التي بدأت تعي و لكنها بالكاد استطاعت ان تقف.. ثم نزلت رحمة و تناولت ذراع نوسة وضعته حول رقبتها و التحمت بها.... و أخذت تتحرك ببطأ فرضه عليها اصابه قدمها و تحملها عبء حمل نوسة المحمومة... كان الطريق يخلو من اي أحد...ظلت تتهادى بخطواتها الزاحفة بغير هدى على امل ان تجد من يهديها سبيلها... و بعد حين وجدت أمرأة ترتدي ثياب فلاحة و يُمسك بجلبابها فتاة صغيرة و تحمل أخرى علي كتفها... حاولت ان تُسرع نحوها لكن ذلك عصى على حِ ملها الثقيل فما كان منها الا ان غرست يدها بجانب نوسة تحثها على الاسراع فكان

ذلك كنداء الموتى... مرت الدقائق حتى بلغت المرأة فاستوقفتها برجاء شديد و ذل بيّن

رحمة بتوسل : الله يسترك فين بيت الحاج شاهين عبد التواب..

نظرت لها المرأة نظرات ريبة فهمتها رحمة سريعاً فادركت نفسها

رحمة بتذلل : جايين عاوزين حاجة لله لليتيمة دي ..

نقلت المرأة بصرها بين الفتاتين حتى لانت ملامحها و قالت و قد استقر بصرها على نوسة..

المرأة : انتِ قربتي يا عروسة... يعني كملي على طول هتلاقي بيت 4 ادوار بجنينة...

ثم اضافت و هي تتحرك و تتخطاها : ربنا يحنن عليك..

همت رحمة بالتحرك لكنها شعرت بألم شديد في قدمها جعل الدموع تنزل غصب عنها و شعرت بنفسها تنهار فتوقفت ثانياً و اخذت نفساً عميقاً و نطرت للسماء و اغمضت عينها ثم عادت ببصرها للامام و قد تجمدت ملامحها و بدات تتحرك..
مرت الدقائق دهراً حتى بلغت سور منخفض رفعت بصرها فبدا عقار مرتفع يتوسط الارض التي يُحيط به السور فبدا على وجهها الارتياح و ما ان اقتربت من البوابه حتى توارت في ظل السور و اسندت نوسة لتقف و بعد محاولات استطاعت ان تعيد لها وعيها قليلاً ... ابتسمت و قبلت وجنتيها ثم أخرجت من صدرها ورقه مطوية وضعتها في جيب بنطالها ثم قالت

رحمة بابتسامة حانية : ربنا يحنن عليكي يا نوسة..

ثم و هي تضغط علي جيب بنطالها لتؤكد كلامها

رحمة : هنا شهادة ميلادك... اديها لابوكي و هو مش هيرمي لحمة و مهما كان انت بنت متخافيش. .

قالت كلمتها و هي تدفع نوسه لتتحرك لتبلغ البوابة فيما غاب عقلها في تلك الكلمات هل فعلت الصواب ام أنها قد سلمتها لقدر اخر مشؤوم.. انتفض جسدها حين رأت نوسة تتهاوى على الارض.. وقفت و كأن على رأسها الطير لا تدري هل تذهب لتحملها و ماذا ان رأها احد.. لا تريد مواجهه تُصعّب موقف نوسة فهي تعتمد على استبذال عاطفتهم تجاهها بحالتها تلك... لم تحتمل تحركت نحوها فاذا بيد تسبقها اليها... توارت بعدها نوسة بالداخل... هبطت رحمة على الارض بقوة و

افترشتها و انهارت باكية و هي تُمسك بقدمها التي ساءت حالتها و اختفت معالمها بين الورم و الطين الذي احاط بها بعدما خلعت حذائها حتى لا يبطئها... ظلت على ما هي عليه حتى رأت شاب يجري خارج من بوابة البيت و يمشي مهرولاً من أمامها غير منتبهاً لها.. اخفت وجهها بسرعه بطرف حجابها...و ما إن تخطاها حتى تسندت على الحائط و وقفت بصعوبة...و بدات تمشي ببطأ متسندة على الجدار... و ليس على لسانها سوى كلمة يا رب تقولها بين انفاسها اللاهثة... و ما ان بلغت مفرق الطريق حيث بات المنزل في مرمى بصرها حتى افترشت الارض و احكمت اللثام حول وجهها و مدت يدها امامها على استحياء و بدأت تردد بصوت مسموع يا رب يا رب و يصدر منها اهات تألم بصوت خفيض ثم تصمت و تعاود كرّتها و عينها على البيت لا تغفله تراقب عن كثب ما سيحدث... مضت ساعه تقريباً و اذا بالشاب يمر بجانبها و معه شخص اخر و في يده حقيبة.. علا صوتها بكلمة يا رب ... وظلت تتابعهما ببصرها

هرول خالد و الطبيب يلحق به... بلغ البيت فلما ألتفت وجد الطبيب متأخراً فاشار اليه يُسرع فلما كاد يصله قال له

خالد بنفاذ صبر : في ايه..ما تخلص

الطبيب : بدي الوليه اللي ع الطريق دي حاجة لله..

خالد و هو يسبقه للداخل : حبكت معاك..

قاد خالد الطبيب لغرفة الفتاة حيث وجد امه تجلس جامدة أمامها... تجاوزاها و دلفا للغُرفة....

كانت الفتاة قد دخلت في حالة صدمة و جسدها ينتفض و شفاها تتحرك بكلمات غير مسموعة...أقترب الطبيب و وضع حقيبته على كرسي بجانب السرير و لحق به خالد يتابع بترقب ما يفعله و بدا ع وجهه القلق الشديد... انتبه ع

صوت الطبيب

الطبيب و قد اعتدل واقفاً بعد فحص سريع للفتاة : عندها حُمى شديدة مبدئيا لازم ننزل حرارتها بالطريقه البدائية عشان ننعش جسمها..

خالد مقترباً و هو يتطلع للفتاة : اعمل لها كمدات يعني

الطبيب ضاحكاً :كمّدات ايه بس يا عم خالد..

خالد بنفاذ صبر و هو ينظر له : ما تنجز يا محمد و قول المطلوب مش شايفها عماله تتنفض ازاي

الطبيب و هو ينظر نحو باب الغُرفة : عاوزين ايد الحاجة معانا تحطها تحت الدُش و تغير لها و بعدين هكتب لها حقن عشان تخفض الحرارة و أعلق لها

محاليل عشان الجفاف...

خرج خالد لأمه و اعاد عليها ما قاله الطبيب فلم ترد و يبدو انها لم تسمع حتى.. كانت ملامحها جامدة تتطلع امامها لكنها لا تنظر لشيء هزها بلطف فأنتبهت له و تطلعت نحوه.. فهزها خالد ثانياً و هو يقول

خالد : ماما ربنا يكرمك ايدك معايا نحط البت تحت الدش و لبسيها حاجة من عندك عشان محمد يعلق لها المحاليل و يعمل لها اللازم...

انتفضت الام فجأة و صرخت فيه : لأ انا ملمسهاش و متاخدشي حاجة مني و..

خالد مقاطعاً و هو يسحب امه بعيداً : ايه يا ماما في ايه ده ثواب..

نفضت الام يد ابنها و تركته و لم ترد عليه... ظل خالد يتابعها وعلى وجهه كل علامات الدهشة و التعجب... انتبه على يد الطبيب تجذبه فالتفت له..

الطبيب : الحقن و المحلول اللي هحتاجة كتبته...

خالد مُقاطعا بعدما رمق الفتاة بنظرة سريعة : كتبت كل حاجة يعني

الطبيب : اه كتبــ

خالد مقاطعا ضاحكاً و هو يربت ع كتفه : طب يا بطل ع السريع اشقط لك توكتوك و هاتهم

الطبيب بصدمة : نعم ياخويا

خالد و هو يدفعه للخارج : نعم الله عليك... انجز..

الطبيب و هو يحاول ان يتوقف و يد خالد لاتزال تدفعه : انا هحط فلوس التوكتوك و الدوا ع الفيزيتا..

خالد :طبعاً طبعاً حط اللي انت عاوزة

ثم اضاف بعد ان غادر الطبيب و التفت هو للداخل : و ابقي شوف مين هيعبرك و يدفع..

عاد خالد مقترباً من السرير فوجد نوسة لاتزال تنتفض و شفاها تتحرك لكن بلا صوت..قرّب وجهه اكثر فلم يسمع شيئاً ... مد يده يتلمس وجهها يحاول ان يزيل الطين عن عيناها و شفاهها.. فتحت عيناها لوهله فتلاقت عيناهما ثم ما لبثت ان اغمضتها... ظل خالد دقائق يتطلع إليها ثم رفع الغطاء عنها و حملها بين ذراعيه و خرج بها من الغرفة آخذاً اياها للحمام... كان جسدها مستسلماً تماماً ..هامداً .. وضعها في حوض الاستحمام فبدت كأنما غادرتها الروح...ما ان فتح عليها المياة حتى

انتفض جسدها فأصطدم رأسها ب الحوض و خرج صوتها صارخاً بتألم

نوسة صارخة : يا ستي

اسرع خالد و اغلق المياة ثم انحنى نحو نوسة و امسك رأسها... خلع عنها حجابها ليرى وقع الضربة عليها...تلاحم وجهه معاها فسمعها تتأه فأمتعض وجههمتأثراً ... نزل الي الحوض و جلس ع حافته و اسند راسها ع رجله و مد يده فاتحاً المياة فانتفضت ترتعش و تصرخ فاحكم قبضته على كتفها يُثبتها و لم يحتمل فأدار بصره بعيداً حتى وجدها استكانت تماماً فحررها من قبضته و مد يده مُغلقاً المياة ثم حملها وعاد بها للغُرفة... وقف برهه يدور ببصره ف الغُرفة... وضعها ع الارض و انصرف خارجاً تتساقط منه المياة..و ما لبث ان عاد بثياب جافة و في يده منشفة و جلباب ابيض...ركع علي الارض و رفع راسها فاسندها على ذراعه و اخذ يُجفف شعرها الذي يصل

بالكاد لمنتصف ظهرها و يمسح وجهها بيده الأخرى حتى تكشفت ملامحها...سمراء.. وجهها نحيف صغير يميل للاستطالة...عيناها بلون فضي لامع مائل للزُرقة و يعلوهما حاجبان رفيعان مرسومان بشعر لونه فاتح...يصلهما انف دقيقة مستحدة تنتهي بشفاه بارزة مكتنزة برغم ما أصابها من تشققات خلفت جروح لكنها لم تستطع ان تُخفي فتنتها.....هبطت يده بتلقائية تُجفف رقبتها ثم يداها و ما ظهر من قدمها... انتبه لشيء مقيد به احدى قدميها... مجموعة من الاربطه من اقمشة قد أُحكمت جيداً حول حلقه لتضيق حول قدمها..شرع خالد في فك تلك الاقمشة فوجد خُلخال فضي قديم واسع نزعه عنها بسهوله و وضعه جانباً ... بدأت ترتعش و تصتك اسنانها من البرودة... لم يجد خالد نفسه الا و هو يُلبسها الجلباب دون ان ينزع عنها الثياب المبللة ثم حملها و وضعها في السرير و دثرها ببطانيتان... لفهما جيداً حولها ثم ابتعد عنها و عيناه تتابعها و هي ترتعش و تُتمتم و وجهه مُقفهر ممتعض...انتبه لصوت الطبيب مُعلنا

وصوله..

الطبيب و هو يمسك بيده كيس و يُشير به لخالد : جبت دوا ب 75 جنية و 3 جنية توكتوك و أديت نص جنية للوليه الغلبانه هضيفهم هما كمان ع الفيزيتا...

لم يعيره خالد انتباهه و ظل يُطالع الفتاة و هي ترتعش ف تحرك الطبيب و وقف جانبه و همس له

الطبيب : أنت حطيتها تحت الدُش زي ما قلت

رمقه خالد بنظرة خاطفه و عاد ببصره نحو نوسة ثم اومأ برأسة موافقاً فاقترب محمد منها و رفع الغطاء عنها و لكنه لاحظ شيئاً و كأن الجلباب التي ترتديه مبللاً ... فرفع حاجبه و نظر لخالد و هو يبتسم بغيظ..

محمد مبتسماً بغيظ : بقولك ايه يا غالي هو انت لبستها الجلابية من غير ما تقلعها الهدوم المبلولة

خالد بعصبية : اقلع مين يا دكتور البهايم انت... اتجننت ف مخك

محمد و هو يتجه نحوه بغضب : انت جايبني تهزأني..

خالد بغضب : ما انت مبتقوليش كلام موزون

محمد بغضب : و هو انت لما تجيب للبت التهاب رئوي هبقى افرح بشبابك..

فتح خالد عينه ع اخرها من الصدمة و ردد بلا وعي : التهاب رئوي..

تحرك محمد نحو نوسة ثانية و كشف الغطاء عنها و رفعها لتجلس... اقترب خالد منه بسرعه حين وجده يحاول خلع ملابس نوسة و جذبة بعنف..

خالد و هو يدفع محمد بعيداً بغضب : يخربيتك بتعمل ايه

محمد باستغراب : بقلعها

خالد مقاطعاً بغضب : تقلع مين يا دكتور بشلن..

محمد بنفاذ صبر : يووووه رجعنا لقلة الادب تاني

خالد بغيظ : انا بقل ادبي اومال اللي انت هتعمله ايه

محمد : هعمل ايه يا ابو جهل... هقلعها و البسها تاني و بعدين ما انا دكتور يا عمنا هو انا قهوجي

خالد بتلعثم و هو ينقل بصره بين محمد و نوسة : دكتور على نفسك يا خويا...

محمد بنفاذ صبر : يا عم خلصنا طيب.. اطلع هات خالتي تلبسها البت هتموت مننا

خالد بضحكة بلهاء : ماما لما لقتني واخد جلبية من عندي و نازل راحت زغرت لي و قامت قفلت الباب على نفسها من جوه بالمفتاح

محمد بنفاذ صبر : و انا مال أمي انا بمشاكلكم دي

أمسك خالد بيد محمد بعنف و سحبه خارج الغُرفة ثم اغلقها

خالد بتهديد و هو يُشير للأرض : متتحركشي من على البلاطة دي لحد ما اجيلك

محمد بدهشة : ينهار بتنجاني هي وصلت للبلاطة.. ده مفيش ثقة بقه..

لم يرد خالد و لعله لم يسمعه اصلاً فقد تحرك بسرعة لا يلوي على شيء حتى عبر البوابة و وصل للطريق المرصوف..وقف لبُرهه متلفتاً علّه يجد من الماره من يُساعده لكن مكان البيت البعيد عن العمار كثيراً سيُصعب عليه المهمه كما انه لا يُريد الاستعانه بأحد ممن يعرفه حتى لا يُثير القيل و القال عنهم .. ابتسم فجأة و اسرع في اتجاه مفترق الطريق... كانت لاتزال جالسة مكانها منكسة الرأس تُخفي وجهها بطرف حجابها بالكاد يبدو منها عيناها خلف ظلال اللثام... اقترب منها و انحنى نحوها ليجذب انتباهها..كانت صامته تماماً و كانها غائبة عن الوعي حتى انه خُيّل له انها ماتت... مد يده نحوها و هزها... رفعت رأسها

نحوه و لم ترد... فبادر هو

خالد بابتسامة : الله يبارك لك يا حجة عاوزينك تساعدينا ف حاجة و هغديك و اديك 10 جنية..

مد خالد يده مبادراً نحو رحمة فما لبثت ان توكأت عليه و تحركا حتى بلغا البوابه ف عبروها للداخل.. كان محمد لا يزال مكانه مقرفصاً و يعبث بهاتفه حين شعر بوقع اقدام تقترب فقام واقفاً ... وجد خالد و معه المرأة المتسولة.. بدت عليه علامات الدهشه و هو يقترب من خالد ليهمس له..

محمد : انت ملقتشي غير دي.

عبس خالد بوجهه ففهم قصده و صمت...اوصل خالد رحمة لسرير نوسة الغائبة عن الوعي فما أن

راتها على حالتها حتى ألتفتت بفزع نحوهما و قالت

رحمة بفزع مشيرة لنوسة : هي مالها

خالد :مفيش يا حجة عندها حُمى

ثم مشيراً لمحمد : و ده دكتور و هيعالجها بس محتاجينك تساعدينا

ثم أضاف مشيراً لنوسة : قلعيها الهدوم المبلوله و نشفيها كويس و هجيب لك غيار نظيف لبسيهولها...

أومأت رحمة برأسها موافقة دون ان تلتفت له فلاتزال عيناها على نوسة تحتضنها و تُقبلها بغير مساس...ما كاد خالد يتحرك مُغادراً حتى لمح الخُلخال على الارض فالتقطه سريعا و دسه في جيب بنطاله و بتلقائية دفع محمد الذي كان يقف عند

الباب امامه ليسبقه خارجاً و اغلق الباب..

محمد متذمراً : ايه يا عم..

خالد : ايه يا ابني..

محمد مشيراً لنفسه : انا دكتور يعني مكاني جوه معاهم

خالد بانفعال : يا عم ارحمني انت لسه فاكر تنحرف النهاردة

خالد بغضب : خلي بالك انت عمال بتاخرني و العداد بيعد و الفيزيتا هتزيد..

خالد بتهكم مغادراً : عداد ايه هو انا جايب سواق...

ثم اضاف و هو يلتفت نحو محمد متوعداً : البلاطة احسن لك..

اعتدل محمد في وقفته بتلقائية ثم نظر نحو خالد الذي غادره و قال بتذمر

محمد متذمراً : يا ريتني ما فتحت لك يا بعيد... و انا اللي افتكرتك جاي تودعني قبل ما تسافر..

نكس محمد راسه و ظل يعبث بقدمه في الارض... دقائق و عاد خالد و في يده ثياب مطوية تجاوز محمد و طرق الباب الذي فُتح فتحه ضيقه و ظهرت يد من خلفه و ما ان وضع خالد الثياب فيها حتى اغلق بسرعه... تنهد خالد و تحرك ليقف بجانب محمد مسنداً ظهره على الحائط و اخذ يعبث هو الاخر بقدمه في الارض و يده في جيبه يتحسس الخُلخال...

في الداخل ما ان خرج الشابان و اُغلق الباب حتى ارتمت رحمة على نوسة محتضنه جسدها الهامد حتى كادت تعتصره... ظلت ملتحمة بها لا تفعل اي شيء اخر حتى سمعت طرق الباب فانفزعت و اعتدلت... مسحت على راس نوسة و ابتعدت و هي ترمقها بنظرة مبتسمة... مشت تعرج لتفتح الباب... وقفت خلفه حتى لا يرى احد وجهها بعدما حلّت لثامها... التقطت الثياب و عادت و قد اتسعت ابتسامتها حتى بلغت السرير فوضعتهم علىه ... ثم جلست على حافته و جذبت نوسة لها... دفعت الغطاء بعيداً و شرعت تخلع ثيابها و ابدالهما بالثياب الجافة... و ما ان أنتهت حتى قبلت راسها و خديها و يديها وعدلتها في نومتها و دثرتها بالغطاء... كانت دموعها قد بدات تهبط بصمت و هي تُلقي بنظرات الوداع على نوسة قبل ان ترحل عنها... قامت رحمة متوكاه على السرير بعدما مسحت على راس نوسة للمرة الاخيرة و همت لتخرج لكنها توقفت للحظة و التفتت و عادت و هي تلتقط بنطال نوسة من على الارض و تفتش في جيبه اتسعت ابتسامتها حين لم تجد الورقة ظناً منها

انهم قد علموا هويتها و لذا يساعدوها... ألقت ما بيدها فجأة حين سمعت طرقات الباب و تحركت بسرعة فاخرتها عرجتها و زادت الطرقات ...و لما بلغت الباب أحكمت لثامها ثم فتحته لتجد في وجهها خالد و يبدو عليه علامات القلق.. دلف بسرعه و لحقه الطبيب الذي شرع في إعداد الحقنه و خالد يرفع الغطاء عن نوسه... و يبدو انه انتبه لوجودها فالتفت نحوها و قام مهرولاً نحوها... دفعها برفق للخارج و اغلق الباب..

خالد و هو يُفتش في جيبه : بصي...

توقف خالد عن الكلام بعدما تذكر انه حين بدل ثيابه ترك الفلوس في البنطلون الاخر فابتسم و اشار بيده لها حتى تنتظره ثم فتح باب الغُرفه و دلف و اغلقه وراءه بسرعه... كان محمد قد كشف الغطاء عن نوسة و عدلها على جنبها ليعطيها الحقنه... كان يسحب من جسدها الابرة... و ما ان راى خالد

المشهد حتى صرخ

خالد صارخاً : يخربيتك...

سحب محمد الابرة و انتفض مبتعداُ عنها بخوف...
أمسك خالد بتلابيبه و ظل يردد بهستريا

خالد بهستريا : يخربيتك.. يخربيتك... بتعمل ايه

محمد بفزع : انا دكتور يا عم

خالد مقاطعا بغضب : دكتور على نفسك

محمد و هو يحرك يده التي تحمل الحقنه لينبه خالد لها : وربنا بديها الحقنه و ربنا بديها الحُقنة..

ظل يردد كلمته حتى هدأ خالد و حرر ثياب محمد من فبضته و التفت نحو نوسه فاسرع نحوها و سحب

الغطاء بعنف فغطاها كلها ثم نظر تجاه محمد قال باقتضاب

خالد باقتضاب : اه بحسب

محمد و هو يُعدل ثيابه : يا عم بقول لك دكتور

خالد بغيظ : ما انا عارف انك زفت... بس عارف انت دخلت ام الكليه دي ليه.. و قلتها لي بلسانك

محمد : يا عم كنت بهزر هو انت صدقت

خالد و هو يشير له ليخرج : طب يا سيدي مش اديتها الحقنه... اتكل على الله

محمد بدهشه : اتكل على الله دلوقتي

خالد بنفاذ صبر : امال هتبات

محمد و هو يقترب من نوسة : لسه هعلق لها المحلول

خالد و هو يعقد ذراعيه على صدره زفر بقوة و قال : طب اخلص يلا

شرع محمد في إعداد المحلول و تعليقه و فجاة صرخ خالد و جرى نحو محمد الذي انتفض مبتعداُ تاركاً ما بيده

خالد بتأثر : لا حول ولا قوة الا بالله.. انا نسيت الوليه بره

محمد و هو يبتلع ريقه و يفادي نفسه بيديه : ولية مين..

خالد و هو يشير بيده : معاك 20 جنيه..

محمد بغضب : ليه ان شاء الله

خالد بنفاذ صبر : نسيت الفلوس فوق و عاوز ادي الست حاجة زي ما وعدتها..

محمد بتذمر : و انا مالي..

خالد بغضب : خلص هات عشرين جنية

اخرج محمد 20 جنية من جيبه و اعطاهم لخالد بتذمر فانطلق خالد خارجاً حتى انه لم يسمع محمد و هو يقول

محمد مغتاظاً : انا هضيفه ع الفيزيتا على فكرة

كانت رحمة قد غادرت و لم تنتظر خالد فلما لم يجدها خرج يقتفي اثرها حيث اتى بها لكنه لم يعثر لها على اثر....

كانت أم خالد جالسة على حافة السرير و قد بدت على ملامح وجهها الامتعاض و الصدمة... كانت تنظر للورقة التي بين يديها و لا ترى ما فيها... كانت احداث تلك الليلة هو ما يمر الان امام عينيها حين اتاها الخبر ان زوجها قد نفذ وعيده و تزوج من الغجرية.... ارسلت في طلب اباها عمدة قريتهم و كبيرها فلم يتاخر عن ابنته الوحيدة و مدللته زينب ....

زينب صارخة : ابن اخوك عملها يا أبا

اباها مستنكراً : عمل ايه

زينب صارخة بهستريا : اتجوز الغجرية..

اباها بغير تصديق : يا شيخة حرام عليكي شاهين ميعملهاش

زينب صارخة : فضلت تقولي كده لحد ما عملها عشان يكسر مناخيري

الاب بلوم : ما انا ياما قلت لك متسوقيش في العوج

زينب صارخة : انت السبب جوزتهولي غصب عنه

اباها بصدمة : غصب عنه

زينب باكيه و هي ترتمي على كرسي : اه غصب عنه... اتجوزني عشان الارض و العمودية متتطلعشي بره ..

اباها بأسف : لا يا زينب هو كان ناوي يتجوزك عشان يربي ابن اخوه اللي ملحقشي يشوفه...

زينب بانهيار : يعني برضه متجوزنيش عشان عاوزني

اباها بلوم صارخاً : و انت مخلتيهوش يحبك ليه... فضلتي تعامليه من طرف مناخيرك و تستقوي عليه لحد ما طفش...

زينب ببكاء شديد : كده يا أبا يعني هتنصره عليه...

لانت ملامح الأب و هدأت نبرته و اقترب من ابنته و ربت على ظهرها فرفعت بصرها نحوه فابتسم لها..

الاب : خلاص انا هتصرف

انتفضت زينب من مكانها و وقفت في وجه اباها و قالت

زينب بنبرة حادة و متماسكة : يبات عندي الليلة دي يا ابا و الغجر كلهم ملهمشي عيشة هنا بعد اللي عملوه

لا تدري وقتها ما فعله اباها ليعود زوجها. فجراً و يدس نفسه في فِراشها.. كانت لا تزال مستيقظة و تتظاهر بالنوم فلما احست بانفاسه بجانبها اغمضت عينها و ابتسمت بنشوة و نامت قريرة العين و ياتي الصباح و الصباح الذي يليه و صباحات أربعة عشر عاماً و لم يتحدثا في الامر و لو مرة واحدة... و كانه لم يكن...فما الذي جاء بتلك الذكرى المنكوبة و من أين اتت.. قبضت يدها بقوة على الورقة التي تمسكها.. انتفضت واقفة و ارتسمت على ملامحها الجدية و التصميم... خرجت من غُرفتها و منها لخارج الشقة ثم في دقائق كانت أمام الغُرفة التي تشغلها نوسة.... لم تمهل نفسها شيئاً

ففتحت الباب واقتحمت الغرفة... كان محمد يجلس على كرسي بجانب الفراش يتشاغل بهاتفه حين تفاجأ بصُراخ..

زينب بصراخ و هي تُشير بيدها : البت دي ملهاش حاجة هنا... شيلوها ارموها ف ستين داهية...

قام محمد واقفاً مشدوهاً لا يدري ماذا يفعل.... كان خالد توه عابراً لبوابة البيت حين سمع صراخه امه فهرول للداخل...

خالد بصدمة : ايه اللي حصل

زينب صارخة و هي تنزع المحاليل من يد نوسة : البت دي متقعدشي هنا.... ملهاش قُعاد هنا

خالد و هو يحاول منعها : طب اهدي طيب

لم تتوقف زينب عن صراخها بل و جذبت يد نوسة و شدتها بقوة فوقعت على الارض... فسُمع دوي سقطتها على الارض و هنا نفذ صبر خالد و وقف في وجه امه ليمنعها من ايذاء الفتاة التي صار صوت تأوهها يُدمي القلوب فاسرع محمد نحوها وسحبها بعيداً عن متناول زينب و وقف يترقب بقلق ما سيحدث...

خالد بغضب : في ايه لده كله..

زينب بغضب مقاطعة : في ان دي ملهاش حاجة عندي و شغل رمي الجتت ده مبيخلشي عليه

خالد مندهشاً : رمي جتت ايه..

محمد مُقاطعاً بقلق و هو ينقل بصره بين نوسة المتأوهه و بين خالد و امه : يا جماعة لو مش ناويين تساعدوها ودوها مستشفي طيب

جذب خالد امه من يدها بقوه يسحبها للخارج و قبل ان يخرج من الغُرفه التفت نحو محمد و غمزه فأومأ برأسه و حمل الفتاة و اعادها على السرير...

سحب خالد امه من يدها و هي تُقاوم بشده و تصرخ عليه ان يتركها و صعد بها لشقتهما و اغلق الباب ثم حررها من قبضته... فحاولت ان تخرج ثانيةً فوقف في وجهها و قال بجدية

خالد : في ايه... انت هتعملي عقلك بعقل البت دي.. و بعدين هي جاية تحتل البيت..احنا هنساعدها و تتكل على الله تشوف حالها

نظرت زينب في عين ابنها مطولاً ثم زفرت بقوة و انسحبت من أمامه ثم عادت و في يدها ورقه رمتها في وجهه فسقطت على الارض... انحنى هو ليلتقطها فيما جلست هي على احدى المقاعد أمامه في حالة تاهب..

تطلع خالد في الورقة و ارتسمت على وجهه ملامح الصدمة ففتح عيناه على اخرها و رفع حاجبه و فغر فاهه مشدوها و بعد لحظات رفع بصره نحو امه و قال

خالد بصدمة : بابا شاهين عنده بنت..

انتفضت الأم من مكانها بغضب و جذبت الورقة من يد ابنها و قطّعتها فصرخ خالد و انحنى يُلملم بقاياها

خالد بصدمة : ليه كده يا ماما

الام بصُراخ : هو ايه اللي ليه... البت دي نصابه و..

خالد مقاطعاً بهدوء : بس انا عارف زي ما انت عارفه انها ممكن تكون بنت الغجرية..

زينب بعضب : انت اتهبلت ف مخك انت كمان...

خالد مقاطعاً : يا ماما انا كنت عند جدي يوم ما بعت لبابا واجبره يطلقها

زينب بتهكم : طب لما انت كنت هناك و فاكر كل حاجة كده... مش فاكر كمان انه مبتشي معاها غير ليلة واحدة

خالد : و مش معنى انها ليلة واحدة انها متكونشي بنته..

زينب صارخة : اذا كنت انا اتجوزته 30 سنة و مجبتش عيال...

خالد بنفاذ صبر : ماما متلفيش و تدوري... كل ده ملوش لازمة البت معاها شهادة ميلاد بتقول ان بابا شاهين عنده بنت اسمها احسان بس احنا مسمعناش منها... اهدي كده و روقي لحد ما تخف و بعدين نفهم منها الحكاية

زينب بغضب : و ان شاءالله هتخف فين بقه... متقوليش هتفضل هنا لحد ما تخف

خالد : من غير ما اقول ده مفيهوش كلام.. هي هتفضل هنا لحد ما تخف و نفهم منها..

زينب منتفضة بعصبية : ابداً و الله...

خالد مقاطعاً : من غير ما تحلفي يا ماما... لو البت دي هي احسان بنت بابا شاهين يبقي ليها ف البيت اكتر من اللي ليه انا شخصيا..

زينب بغضب : نعم يا خويا..

خالد : يا ماما عمي شاهين هو اللي رباني و انا موعتشي على اب غيره بس الحق حق و انا ابن اخوه و هي بنته يعني ليها التلت..

زينب صارخة بغضب : النص أيه يا روح امك... هو ابوك و عمك اتجوزوني الا عشان كل اللي تحت ايدك ده ميطلعشي بره عيلة شاهين

خالد بنفاذ صبر : ماهي من عيلة شاهين برضه

زينب بضحكة ساخرة : الغجرية

خالد بحسم : ماما ملوش لزوم نقعد نلف و ندور في الموضوع لو هي احسان اللي ف شهادة الميلاد يبقي ليها تلت ورث عمي

زينب بصدمة : عمي... انت من امتى بتقول على شاهين عمي

خالد و هو يفتح باب الشقة ليغادر : من النهاردة...

القت زينب نفسها على المقعد و وجهها مقفهر و عينها على باب الشقة حيث غادرها ابنها...

أغلق خالد باب الشقة لكنه قد فتح في عقله غيابات من الحيرة و الأفكار.. اين كانت تلك الفتاة و هل كان عمه يعلم عنها شيئاً و لِم اتت الان و بعد وفاة عمه بأيام لِم لم تأتي و هو حي ان كانت صادقة الا اذا خشت ان تفتضح كذبتها... و ما تلك الحالة التي اتت عليها..دلف للشقة الارضية حيث ترقد نوسة.. فتح غرفتها فوجد محمد يمسح على شعرها فثارت ثائرته و اندفع نحوه و دفعه بعيداً

خالد بغضب : انت ايه يا أخي

محمد بغضب : في ايه يا عم انت

خالد بغضب : في ان دي امانه و ف بيتي..

محمد مقاطعاً بغضب : اهدى يا عم انت دي عيّلة ثم اضاف بلوم : و بعدين يا خالد انا فكيت معاك بكلمتين و كنت عيل معرفشي غير الكتاب و الدروس و المذاكرة فقلت لما ادخل طب هعوض كل اللي فاتني يبقي خلاص هغتصب كل اللي هكشف عليهم...

خالد بتأسف : مقصدتش بس لا انا و لا انت لينا اخوات بنات و....

محمد مقطعاً : و هو عشان مليش اخوات يبقي مصونشي بنات الناس...

كاد خالد ان يتكلم لولا ان سمع صوت جذب انتباهه صوبه بتلقائية..

نوسة بتأوه : ستي... يا ستي..

أسرع خالد نحوها و شرع يمسح على شعرها فوضع محمد يده على كتفه و قال

محمد : اهو هو ده اللي حصل.. سمعتها بتنادي على ستها و بتتوجع فصعبت علي

خالد : طب ما تديها حاجة للوجع ده..

محمد : هي محمومة و كل اللي نقدر نعمله ننزل حرارتها و بعدين نشوف..

ثم اضاف و هو يلتقط حقيبته : انا همشي بقه عشان الحق العيادة و قبل ما اروح هعدي عليك

ثم اضاف و هو يمد يده بورقة : ايدك بقه ع 200جنية

كان خالد ينظر لنوسة حتى قال محمد كلمته فالتفت له و قال

خالد بغضب مفتعل : ميتين ايه يا خويا

محمد باستفزاز : جنية هتكون بيضة يعني

خالد و هو يقترب منه و يضغط على أسنانه بعيظ : ليه يا خويا

محمد و هو يعد على أصابعه : 57 فلوس الدوا و 5 جنية توكتوك و 2 جنية للشحاته.. و الفيزيتا...

خالد مقاطعا بغيظ : الفيزيتا 50 جنية

محمد مقاطعا بفخر : لا ده العادي اما بقه المستعجل 75 و الزيارة في البيت 100 و خصم 30 ف المية

خالد مقاطعا بتهكم : و جاي على نفسك و عامل خصم

محمد بفخر : لا ده ليك انت بس بما انك الكشف الوحيد المستعجل و الخارجي كمان اللي يجيلي ف ام البلد اللي صحتها حديد دي فقلت استفتاح بقه و كده

خالد بغيظ : انت بتبيع طماطم يا بني

محمد بنفاذ صبر : يووووووه يا عم خلصني..

خالد بلا مبالاه و هو يواليه ظهره ويتجه نحو احسان : المرة الجاية

محمد بصدمة : هو ايه اللي المرة الجاية

خالد مشيراً له ليغادر : المرة الجاية هحاسبك

محمد بتذمر : ليه..

خالد بلا مبالاه : يعني هقفلهم لك 500 جنية و اديهم لك على بعضهم

محمد بعصبية : ده اللي هو ازاي

مشى خالد ناحيته و ما ان بلغه حتى وضع ذراعه حول رقبة محمد و تنهد ثم قال و هو يتحرك و يجبر

محمد بالتحرك نحو باب الغرفة

خالد بهدوء : يا بني انا عاوز اعتبرك طبيب العيلة و مينفعش طبيب العيلة ياخد فلوسه اول باول... كأنك بتقول لنا متجبونيش تاني.. .

محمد و قد تهللت اساريره : يعني انا كده طبيب العيلة

خالد بسرعة :طبعاً ...

فتح خالد الباب و ربت على كتف محمد ثم دفعه للخارج.. و قبل ان يُغلق الباب وضع محمد يده على الباب يمنعه من غلقه

خالد بنفاذ صبر : ايه تاني

محمد ببراءة : يعني هتحاسب المرة الجاية

خالد بتلقائية : لا

محمد بغضب : نعم

خالد بسرعة : قصدي ما بين الخيرين حساب

كاد محمد ينطق لكن خالد دفعه بعيداً و اغلق الباب و هو يقول..

خالد : هحاسبك غور بقه...

زفر خالد بقوة و هو يمشي نحو الفراش التي ترقد عليه نوسه... فلما بلغه جلس على حافته و ظل يتطلع لها.. كانت قد غابت ثانية عن الوعي... أحكم عليها الغطاء و ابتسم ثم مد يده في جيبه و اخرج الخُلخال و ظل يعبث به و عينه على نوسه و عقله

يحاول ان يجد ثغرة يُدخِل بها تلك السمراء لحياته حتى لا تغيب عنه ابداً ...

توقف الميكروباص في محطته الاخيرة فنزل الركاب جميعهم و كان اخرهم رحمة و قد بدا عليها الاعياء الشديد... تسندت على المقاعد و مد أحد الركاب يده لها فتوكأت عليها ثم ما لبث ان رحل فتحاملت علـّئ. نفسها و مضت بجسد منهك و قلب مفطور و عقل مشغول و روح غائبة مع تلك التي ودعتها منذ ساعات....لم تكد تشعر باي ألم حتى وصلت حارتها و زاد الالم حين وصلت لباب منزلها فسقطت على الارض تصرخ من الالم فتجمع الجيران من الغجر و حملوها لفِراشها و هي تصرخ و تبكي... دقائق و جاءت امها بوجه مقفهر و عينان مفزوعتنان تنادي بنتها التي اختفت خلف اجساد الملتفين حولها فاخترقتهم و ما ان وقع بصرها على رحمة و رات حالتها حتى جذبتها لصدرها و احتضنتها بقوة فأحتوت كل بُكائها و تأوهها حتى وصل شاب يبدو انه قد استيقظ توه من نومه حيث كان شعره منكوش و يرتدي بنطال

قطني و تي شيرت اسود و نظاره تُغطي معظم وجهه النحيف... تفرق الجمع من حول رحمة ليمر الشاب و ما ان بلغ الفراش حيث ترقد حتى ابعدتها امها عن حضنها فبدا وجهها مطموس الملامح التي غمرتها الدموع...لم يملك الشاب من امره الا ان يبتسم ابتسامه حزينة يُطمئنها بها ثم جلس على حافة السرير و كشف الغطاء ليرى قدمها و ما ان وقع عينه عليها حتى انتفض مصدوماً من حالتها ثم تدارك نفسه و ابتلع ريقه و تلفت حوله ثم نظر لام رحمة و قال

الشاب بتأثر : بصي يا حجة انا و الله عاوز اساعد بس انا ممرض و دي رجلها بالشكل ده محتاجة دكتور ينظف. لها الصديد اللي فيها و ان شاء الله هتخف...

ثم اضاف و هو يعدل نظارته : يعني ادوني نص ساعة كده اغير هدومي و وقفوا انتو تاكسي و هاخدكم المستشفى الجامعي و اشوف هعرف

اوصي عليها هناك و لا ايه...

خرج الشاب و تبعه بضع من الجمع و رحمة متسطحة و قد اغمضت عينها و سكنت و لولا الدموع التي كانت تسقط في صمت لظُن انها نامت.....

كان خالد لايزال يجلس بجوار نوسة يضع لها كمادات تاره و يُغير لها المحاليل تارة و تارة اخرى يظل يتأملها و يُنصت لهمساتها التي تُتمتم بها من اثر الحُمى.. فيما كان محمد ياتي من حين لآخر ليعطيها الدواء و يتابع حالتها... أما زينب فلم تغادر غرفتها الا لحاجة ماسة و قاطعت ابنها تماماً تريد بذلك ان تضغط عليه ليتبنى موقفها و كانت مع ذلك تُفكر في حيلة مناسبة تتخلص فيها من الفتاة دون ان تخسر ابنها..كان قد مضي يومان على تلك الحالة فلما كان اليوم الثالث نهضت من فراشها باكراً وارتدت جلباب ابيض و حجاب ابيض و علقت المسبحة في يدها ثم فتحت باب الغُرفة و ابتسامة

هادئة على وجهها و دلفت للمطبخ و بعد ساعة او يزيد خرجت و بين يديها صينية مُغطاة بشال مشت بها لباب الشقة ثم خرجت منها و بعد دقائق كانت في الطابق الاسفل اتسعت ابتسامتها و دلفت الشقة التي تأوي نوسة... كان باب الغرفة التي ترقد بها مفتوح فرأت ابنها و هو يضع الكمادات على جبهتها و يتطلع إليها بنظرات اشعلت بقلبها ناراً ظنت انها أُخمدت من 15 عام كادت الابتسامة ان تتلاشى وراء علامات الغل و الغيظ لولا ان رأت ابنها خالد يلتفت نحوها و يبتسم... كان خالد قد كرس نفسه لرعاية نوسة حتى تشفى فبالكاد كان ينام ساعة او ساعتين و لا يتركها الا ليُصلي او يقضي حاجة.. قام من فوره ليستقبل امه التي اعادت الابتسامة على وجهها.. حمل عنها الصينية و وضعها على منضدة صغيرة ثم قبل يدها.. و رأسها. فمسحت على شعره و قالت

زينب بحنو زائف : انا قلت بقالك يومين مكلتش لا انت و لا...

صمتت زينت و كأنها تتذكر اسم الفتاة فبادر خالد بتحمس

خالد : احسان يا ماما اسمها احسان

ثم اضاف : يا رب تكوني غيرتي رأيك و....

زينب مقاطعة و هي تتجه نحو فراش نوسه و تعبث بحبات المسبحة : انا صليت استخارة و الحمد لله ارتحت.

خالد بترقب : يعني نويتي على ايه

التفتت زينب له و ابتسمت ثم التفتت نحو نوسة و قالت : زي ما انت قلت يا خالد لو البت دي بنت شاهين يبقي تاخد حقها...

تهللت اسارير خالد و أسرع نحو أمه فأمسك يدها و أجلسها على الكرسي بجانب الفراش... ظلت تنظر لنوسة بجمود و خالد ينقل بصره بينهما فلما طال الصمت قطعه

خالد و هو يرفع الشال عن الصينيه : ايه يا حجة عاملة ايه النهاردة

لم ترد زينب و حتى انها لم تسمع فهي لا تزال تنظر لنوسة تغيرت ملامحها و تبخرت ابتسامتها و حل محلها التوتر و الخوف.. لاحظ خالد ذلك فاسرع نحوها و وضع يده على كتفها فرفعت بصرها نحوه و حاولت ان تشق ابتسامة على

وجهها كادت ان تنجح لولا أن ألقى خالد عليها قنبلته

خالد : بصي يا ماما انت قاريه كتاب ربنا و من غير خطب و كلام كتير افتكري ربنا قال اللي بياكل اموال اليتيم كأنه بياكل في بطنه نار يعني احنا الحمد لله مستورين و بزيادة و ورثي من بابا الله يرحمه لوحده يكفينا نعيش بالمستوى اللي طول عمرنا عايشين فيه فملوش لازمة نفتري و نتشطر على اليتيمة دي

زينب بعصبية :مش لما تبقي بنته فعلاً

اندهش خالد من عصبيتها فحاولت تدارك الموقف

زينب و هي ننظر لنوسة : مش عاوزين نستبق الأمور

..

ثم التفتت نحو خالد و ابتسمت و أضافت : روح هات الصنية خلينا ناكل لقمة..

حاول خالد ان يبادل امه الابتسام لكنه عجز فصمت و وضع الصنية امامها على طرف الفراش و تثاقل في احضار مقعد له فلاحظت أمه ما أصابه فجزت على أسنانها لائمة نفسها و حاولت ان تُغير الموضوع

زينب بابتسامة : و انت يا خالد ناوي تسافر امتى

خالد و هو يمسك بيده ملعقه طعام يعبث بها في طبقه : ايه يا ماما لحقتي تزهقي مني..

زينب بحزن مصطنع : كده يا خالد الله يسامحك

خالد بندم : لا حول ولا قوة... مش قصدي يا ماما.. انت بس بتساليني ع السفر و في العادة مبتحبيش السيرة دي

زينب بنغمة حزينة : انا بسألك المرة دي بالذات لانك لما هتسافر هفضل لوحدي هنا

لم تكد زينب تُكمل كلمتها حتى تظاهرت بالبكاء فتأثر خالد و شعر بالندم فأمسك يدها و قبلها ثم وضعها بين كفيه و قال

خالد بصوت حاني : لوحدك ايه بس يا ماما انا قلت لك لما اناقش الدكتورة هنقل جامعة الزقازيق هنا جانبك و خلاص هانت كام يوم و اناقشها و امشي ف اجراءات النقل..

ثم نظر نحو نوسة و ابتسم و اكمل : و اهي احسان اهي هتسليك على ما اجي

ظن خالد انه أطفأ نار الوحدة في قلب امه و لم يعلم انه قد اشعل نيران الكُره في جسدها كُله.. و لولا صوت هاتفه الذي صاح فجأة لانتبه لنظراتها الغادرة لنوسة...

أبتعد خالد قليلاً يتحدث في الهاتف فلما انهى مكالمته التفت نحوها و قال بمزاح تلقائي: جبتي سيرة السفر اديني لازم اسافر بكرة

التفتت زينب نحوه و قالت بحزن : هتسبني

خالد بحب : مش هسيبك و لا حاجة... الدكتور قالي مش هينفع أجل المناقشة و لو ما ناقشتهاش في معادها هضطر استنى 6 شهور كمان

زينب بصدمة : 6 شهور

خالد : و الله انا حاولت أأجل بس زي ما سمعتي مش هينفع و عموما كلها اسبوع بالكتير و هكون ناقشت الرسالة و خلصت اجراءات النقل و ارجع هنا تحت رجليك

ابتسمت زينب و فتحت ذراعيها ليرتمي خالد بينها تبثه حبها و قد أرتخت ملامح وجهها و لانت حتى فض لحظتهما صوت نوسة و قد أستترددت نصف وعيها و حاولت ان تنهض و بالكاد يخرج صوتها تُنادي على ستها و تتلفت في خوف.. أسرع خالد نحوها نافضاً ذراع امه بغير قصد ليهدأ روعها فكانما اصدر بفعلته حكم الإعدام على الفتاة و لم يبقى سوى تنفيذه.. كان خالد قد نجح في اعادة نوسة للنوم فالتفت لامه التي كانت تنظر أمامها و

هي في حالة جمود فعاد خالد لها و أمسك يدها و قال

خالد بابتسامة : ايه مش هتيجي معايا نجهز الشنطة

اومأت زينب و ابتسمت ابتسامة باهته و قامت معه دون ان تنطق بكلمة و قبل ان تُغادر الغرفة رمقت نوسة نظرة اخيرة ثم توارت...

تمددت رحمة على إحدى الكنبات على جنبها و توسدت احدى ذراعيها و غمضت عينها تدعي النوم... كانت تتنهد من وقت لاخر و كانها تزفر افكار تُطاردها فتلفظها بعيداً .... كانت تفكر تارة في حال نوسة... علمت ان الفتى محمود لم يمت لكن تأذت عينه.. سمعت اقاويل انه فقدها لكن قد تكون اشاعة.... بأسوأ الحالات سيُحكم عليها بثلاث سنوات.. زفرت الخاطرة بقوة.... ثلاث سنوات في السجن لن تصمد تلك الفتاة يوماً حتى في حجز

شرطة فكيف ان صارو 3 سنوات في سجن مليئ بالمجرمين على كل لون... قتلة و مسجلات آداب و تجار مخدرات و غيرهن... تنهدت و زفرت أنفاسها بقوة..... هي الآن بأمان عند اهلها... مضى 3 ايام و لم ترجع و لم تعثر عليها الشرطة..و الان هي ماذا تنوي ان تفعل... هل ستقبل ان تنغمس في الوحل مثل أمها...أعتادت ان تكسب قوتها من تزيين النساء ازالة شعر وجوههن و رسم حواجبهن و نالت شُهرة جعلت نساء من غير الغجر يطلبوها في الاعراس و غيرها...كان المال الذي تحصل عليه من تلك المهنة يكفي معيشتها و ان تاتي ببعض الأشياء لشقيقتها بسمة و ابنة خالتها نوسة و لولا تلك الحادثة ما فكرت يوما او خطر ببالها ان تحط في ذلك المستنقع.. زفرت بشدة لعل تلك الافكار تخرج مع انفاسها لكن هيهات فقد جاء صوت أمها ليُشعل نيران الفكر ثانية...

ذبيدة و هي تهز رحمة تُنبهها : بقالي ساعة بنادي عليك ده لو ميت كان صحي

فتحت رحمة عينها بتكاسل و مطت شفتيها باستنكار و اعتدلت لتجلس و وضعت يديها على بعضهما فوق بطنها بعصبية ثم قالت

رحمة بنفاذ صبر : خير يا أما...

جلست ذبيدة بجوارها و قالت بحنية مصطنعة : كل الخير يا بنت بطني... رزق و جالك

رحمة و هي تجز على اسنانها : سمعاكي كملي

ذبيدة بحماسة : واحد تاجر أجهزة كهربائية من قبلي بييجي هنا يومين ثلاثة قولي اسبوع كل شهر.. عاوز واحدة تشوف راحته..

رحمة بغضب : و هو ده الرزق يا اما اللي جالي فرحانه بيه

ذبيدة بجمود : جرى ايه يا رحمة مش اتفقنا و..

رحمة صارخة : هديكي تمن الورقة ياما و بزيادة بس اصبري لما رجلي تخف..

انتفضت ذبيدة من مكانها و وقفت في وجه ابنتها و قالت بغضب : تمن ايه اللي هتدهولي... انا مش عاوزة فلوس يختي...انا عاوزاكي تشيلي الحِمل عني... انا كبرت و معدشي بيجي لي رزق زي الاول و يدوبك اللي بيطلع بسدد بيه ايجار البيت و مصاريف اختك بالعافيه...

رحمة بغضب : يعني عاوزة ايه

ذبيدة بحسم : عاوزاكي تتكفلي بأختك.. خلاص اهي نوسة راحت لأهلها يعني معدتشي ف رقابتك.. شيلي بقه اختك بسمة و ع الاقل من لحمك و دمك.. و متنسيش انت اللي صممتي تدخليها مدارس

صمتت رحمة و نكست رأسها فلانت ملامح امها و عادت تجلس جنبها و قربت وجهها منها و قالت

ذبيدة : أنت مسبتنيش اكمل كلامي... الراجل هيكتب عليك رحمة بلهفه : شرعي

ذبيدة : لأ عُرفي بس بشهود و كل اللي هنا هيعرفوا انك اتجوزتي و من عندي نقوط ليكي هعمل لك ليلة هنا نلم البنات و نهيص لك قبل ما تروحي و تكتبوا العقد...

أعادت رحمة تنكيس راسها... فاكملت امها

ذبيدة : يا بنتي وافقي و عيشي لك يومين.. كُلي اكله نظيفه و البسي هدمة نظيفة و نامي على فرشة نظيفة

التفتت رحمة لها و قالت بلوم : و هو في حاجة حرام نظيفة يا اما

ذبيدة بعصبية : حرام و هو الجوع مش حرام... و بعدين مش قلنا هيكتب عليك و هيبقي فيه شهود

رحمة بغضب : و ليه مش عند ماذون

ذبيدة بتهكم : و هو لو ناوي على شرعي و مأذون هيجي لك ليه يا بنت زبيدة

رفعت رحمة بصرها نحو امها و بدا عليها الصدمة و الوجع و كانهاطُعنت بخنجر مسموم فتلاقى بصرها مع امها التي شعرت بفعلتها فبدا عليها الندم و استدركت بنغمة حانية....

ذبيدة : و الله يا بنتي ده نصيبناو رزقنا و بعدين متسبقيش رزقك...و يمكن ربنا يكون في قضاه رحمة

تنهدت رحمة و لم ترفع رأسها فربتت ذبيدة على ظهرها و ضمتها لحضنها و اضافت

ذبيدة : وافقي يا رحمة مش هيجي لي رزق احسن من كده و سيبك من شُغل الفتلة ده مبيأكلشي عيش و اديكي شايفة بسمة كل يومين عاوزة كراسة و قلم و درس و مصاريف مبتخلصشي..

ثم ابعدتها عن حضنها و اضافت بنفاذ صبر : يا كده يا تخرجيها من المدرسة انت اللي صممتي

رفعت رحمة رأسها و نظرت لامها و حاولت ان ترسم ابتسامة على وجهها فبالكاد فتحت شفتاها ثم قالت بحزن

رحمة و قد اغرورقت عيناها بالدموع : طيب

ذبيدة بتحمس : يعني موافقة

اومأت رحمة براسها موافقة و نكستها لتسقط دمعة من عينها تكاد تتصدع الارض تحتها من ما تحمله من الغُلب و القهر...

في شرفة البيت وقف خالدمتكأً علـّئے. سورها تيحدث في الهاتف ..

خالد : يا بني أسبوع و راجع بإذن الله

خالد : و الله حاولت بس هيضيع مجهود 3 سنين ع الاقل

خالد : لوحدها ازاي.. أمال انت بتعمل ايه...

خالد : لأ و عاوز ممرضة او واحدة تقعد مع إحسان

خالد بعصبية : هتكون احسان مين البت اللي بقالك يومين بتجي لها...

خالد بنفاذ صبر : لما ارجع هبقى اقولك الموضوع

ثم بفزع اضاف : لاااااااااا اوعى تسأل ماما قلت لك هحكي لك..

خالد بنفاذ صبر : خلص بقه هتاخر ع القطر... ساعة ساعتين بالكتير و تبعت الممرضة.. يلا سلام

انهى خالد المكالمة و عاد بالداخل ليجد امه واقفه امامه فابتسم لها و اقبل عليها يمسك يدها يُقبلها فابتسمت له و مسحت على راسه

خالد بمرح : ايه يا زوزو.. عاوزاني اجيب لك ايه و انا راجع

زينب بأبتسامة : عاوزاك سالم يا حبيبي

كان خالد يمشي و بجواره امه حتى بلغ احد المقاعد فاجلس امه و قرفص بالقرب منها و امسك بيدها و أبتسم فبادلته الابتسامة..

خالد : محمد هيبعت بت تاخد بالها من احسان و هو هيعدي عليكم كل يوم و هو مروح ان شاء الله

زينب بأبتسامة متكلفه : أن شاء الله

خالد : كلها اسبوع و هرجع نفهم الموضوع

اومات زينب براسها موافقة و لا تزال تحتفظ بنفس الابتسامة المتكلفة

خالد بجدية : ماما بالله عليكي ما تعملي حاجة نندم عليها

حاولت زبنب التحدث لكن خالد اسكتها و تابع..

خالد : بصي يا ماما انا مقدرشي اقولك متنزليش عندها عشان متتعصبيش و تعملي حاجة منعرفشي نصلحها.... بس عاوزة افكرك ان مش معنى انك قطعتي شهادة الميلاد يبقي ملهاش حق... ليها النص و مش بالشهادة هتاخده لا بشرع ربنا..

صمت خالد و ظل ينظر في عين أمه حتى اخفضت هي بصرها فاستطرد و هويهِم واقفا

خالد و هو يزفر و يمسح على شعره : طيب انا هأجل المناقشة و السفر لحد ما اخلص الموضوع ده..

هنا انتفضت الام واقفة و قد بدا عليها الغضب الشديد

زينب بغضب شديد : جرى لك ايه يا خالد... البت دي عملت لك ايه خلتك عاوز تبيع الدنيا كلها حتى امك

خالد بنفاذ صبر : مش هي اللي عملت لي.. طريقتك و اللي شايفه ف عينك... و انا و الله ما بعمل كده إلاخوفاً عليك من اللي ناوية عليه و هيكون ف رقبتك يوم القيامة..

زينب بتلعثم : و هو انا قلت ايه

خالد باسف : ما هو اللي مخوفني انك ساكته..

زينب بغضب : و انت عاوزني اعمل ايه عشان ترتاح

خالد برجاء : عاوزك تحلفي لي انك مش هتطرديها..

صمتت زينب و هربت بعينها بعيدا عن نظرات خالد الذي احكم قبضة يده بغضب و زفر بقوة و القى نفسه على المقعد ثم مسح على وجهه و شعره و قال

خالد بجدية : خلاص يا ماما مش هسافر و يضيع علي 3 سنين سفيت فيهم التراب...

زينب مقاطعه بصوت باكي : خلاص يا خالد سافر و مش هطردها..

خالد بترجي : طب احلفي..

زينب بغضب و دموعها قد ملأت عينها : أخص عليك يا خالد للدرجه دي

قام خالد من مكانه بسرعه و امسك بيد امه و اجلسها مكانهو قبل راسها فسقطت دموعها فعاد ليُقبل كفيها و جلس القرفصاء بين يديها و حاول و ابتسم لها يحاول ان يُليّن قلبها...

خالد بحنو : الله يخليكي ما تخليني اسافر و انت زعلانه.. يعني لو جرى لي حاجة...

لم يكد يُكمل كلمته حتى اجهشت امه في البكاء و قالت مقاطعه

زينب ببكاء شديد و عي تضمه لصدرها : بعد الشر عنك يا كبدي

خالد بتأثر : طب بلاش عياط بقه بالله عليك..

ابعدته زينب عن صدرها و حاولت الابتسام فأبتسم لها و قبل يدها و قامواقفاً ..

خالد بابتسامة : يعني امشي و انا مطمن

اومات زينب براسها و ابتسمت فاتسعت ابتسامة خالد و التقط حقيبته من على الارض و عاد لامه فاحتضنها و قبلها..و قبل ان يغادر الشقه التفت نحوها و كانت لاتزال تُشيعه بعينها

خالد : ملوش لزوم تتعبي نفسك و تنزلي يا ماما محمد هيجيب بت تشوف طلبات إحسان و طلباتك كمان لو تحبي و خليكي مستريحة هنا...

زينب بأبتسامة : حاضر

خالد بسعادة بعد ان ارسل لها قبلة طائرة : يحضر لك الخير يا زوزو..

ما إن أغلق الباب حتى تلاشت البسمة من على وجهها الذي اقفهر و أرتسمت عليه علامات الغضب و الحقد و قامت من مكانها للغرفه ففتحت شُرفتها و وقفت تُطالع أبنها لترى اذا كان سيمر على تلك الغجرية ام لا..كان خالد قدعرّ ج عليها ليرى ان كانت قد استردت وعيها.... دخل عليها الغُرفة فوجدها ساكنة فأقترب منها و مسح على رأسها و ظل يتطلع لوجهها و كأنه يحفر ملامحها في قلبه لتؤنسه حتى يعود... و على وجهه ابتسامة حانية لكنها تلاشت فجأة و قُغر فاه حين غرقت عيناه في موج أزرق ساحر كانت تلك عيون نوسة التي فتحت عينها بتهدّي فأحتضنتها عينا خالد لكنها سرعان ما اغلقتها و بدا على وجهها التألم و وضعت كفيها على عينها تمنع عنها الضوء الذي اذاها بعدما ظلت مغمضة عنه لأيام... اتسعت ابتسامته و هرول ليطفئ النور ثم فتح الشباك و اسدل الستارة ليحد من الضوء.. ثم عاد إليها و مد يده و امسك كفيها فانتفضت و قاومت بشدة و خرج صوتهاباكياً فانصدم خالد و ابعد يده بل و تراجع

خطوات و قد تلاشت ابتسامته.. انتظر حتى هدأت ثم قال

خالد بحنو : إنتِ هنا ف بيتك و محدش هيعمل لك حاجة... انا همشي دلوقتي و لما ارجع باذن الله نتكلم...

تراجع خالد خطوات و لايزال يوليها وجهه حتى اقترب من الباب فاعطاها ظهره و قبل ان يتوارى التفت و رمقها نظرة أخيرة... نظرة وداع....

خرج خالد و لم يلتفت خلفه و لم يرى أمه التى كانت تتأكل من الغضب و هي تتطلع عليه من الشُرفة و لم يدري انه قد مضى بفعلته أمر إعدام نوسة بل و حدد موعده فما ان راته قد وصل لمفرق الطريق حتى غادرت الشرفة و ف دقائق كانت أمام الغرفة التي تؤوي نوسة... رسمت ابتسامة خبيثة على وجهها قبل ان تفتح الباب...

كانت نوسة قد فتحت عينهاقليلاً و اعتدلت في جلستها و دارت ببصرها في المكان.. و كأنها بحلم... ذاك الحلم الذي تنام فيه على فراش نظيف و بجانبه كومودينو و عليه اباجوره... لم تتمالك

نفسها و ابتسمت لذاك الحلم الجميل عله لا ينتهي و فجأة قُتح الباب فاختفت ابتسامتها حاولت ان تعود لترقد و تدعي النوم لكن الأوان قد فات فقد دلفت للغُرفة امرأة خمسينية قصيرة لحد ما و ممتلئة و ترتدي جلباب ابيض و حجاب ابيض و تُمسك بيدها شيء يُشبه العُقد الذي كانت ترتديه ستها به حبات صغيرة تعبث بها اصابعها... كانت تبتسم و تقترب منها حتى صارت بجوارها.... مضت دقائق و هي صامته فالتفتت نوسة لها فوجدتها لاتزال تبتسم و كأن ذالك هو وجهها أصلا.. ابتلعت ريقها و حاولت ان تبتسم فجاء صوت المرأة ليوقف محاولتها

زينب بابتسامة خبيثة : حمد الله على سلامتك... اخيرا صحيتي..

لم ترد نوسة... و بدا عليها الوجوم.. فأكملت زينب بنفس النغمة الهادئة و الابتسامة الزائفة

زينب : إحنا كنا هنبلغ البوليس..

لم تكد تُكمل زينب كلمتها و كانت ستقول انهم لم يعرفوا هويتها في البداية و كانوا سيبلغوا الشرطة

لولا ان وجدو شهادة ميلادها لكن نوسة ما ان سمعت كلمة البوليس حتى صرخت في فزع

نوسة بفزع صارخه و هي تشير بيدها نافيه : مقتلتوش و النعمة و رحمة النبي ما قتلته...

رفعت زينب حاجباها و فتحت عيناها و تلاشت بسمتها من الصدمة لم ياتي ببالها ان ينتهي كابوسها بتلك السهولة... كانت ستُساوم الفتاة لتختفي من حياتهم لكن ان تتخلص منهانهائياً و بتلك السهولة فكانها المعجزة تتحقق.. مرت دقائق و نوسة تبكي و تُرددمُقسمة انها لم تقتله و زينب تستجمع نفسها و تُرتب افكارها قبل ان تُقرر استخدام تلك الورقة و تتخلص من تلك الفتاة بدون تكلفه ونهائياً ...
اخذت نفس عميق و لفظته ببطء و هي تجلس على حافة السرير... وضعت يدها على ظهر نوسة و مسحت عليها و قالت بحنو زائف

زينب : طب احكي لي ايه اللي حصل

ظلت نوسة تبكي فنفذ صبر زينب و لم تُسيطر على اعصابها بعدما أقفهر وجهها و عبس و قالت بعدما غادرتها النغمة الحانية و حلت محلها التهديد

زينب و هي تزفر بقوة : خلصي احكي بدل ما نلاقي البوليس على دماغنا و منعرفشي نتصرف ..

ابتلعت نوسة ريقها و أستجمعت نفسها و لملمت أنفاسها و شرعت تحكي مأساتها و محاولات الصبية تسويء سمعتها و ادعاؤهم بالزور عليها ثم استدركت بفقد الخُلخال التي ورثته عن جدتها و اكتشافها وجوده مع محمود و تحرشه بها هو و الصبية و ضربها له و ما ان بلغت تلك المرحلة حتى انهارت في بكاء يُدمي القلوب و يلين له الحجر فلانت ملامح زينب لوهله لكنها سرعان ما زفرت بقوة و قاطعتها بنفاذ صبر

زينب : طب جيتي هنا إزاي و مين قالك طريقنا

مرت برهه او يزيد قبل ان تستجمع نوسة نفسها و تُكمل و لا زالت دموعها تسقط

نوسة ببكاء : رحمة قالت يا نوسة هوديك لأهلك و ركبت معاي..

زينب مقاطعة باستغراب : نوسة ده اسم الدلع بتاعك

نوسة ببراءة : لأ اسمي نوسة محمد عبد الله

زينب بتعجب : نوسة محمد عبد الله

فاكملت نوسة ببراءة : اه

زينب و عليها اثر الصدمة : طب كملي

نوسة : كنت ساعتها تعبانه و مكنتش قادرة اقف حتى... نزلت من المكروباص و رحمة سندتني لحد هنهوت و حطتت شهادة الميلاد ف جيبي و قالت لي ان ده بيت ابويا و ان محدش هيقدر يجي لي هنا...

كانت نوسة تحاول ان تفتش في ثيابها لتبحث عن الورقة لكنها انصدمت بما ترتديه.. كانت ترتدي بنطال واسعجداً و يحكمه حول وسطه رباط و يعلوه بلوفر يُغرقها تماما فيما كانت زينب واجمة تماماً لا تدري كيف تتحول معجزة لكارثة...لا

تدري ماذا تفعلحقاً ... هل هي إبنة زوجها ام انها فقط تحمل شهادة ميلاد ظنت انها ستؤمنها... هل تنفذ خطتها الأولى و تعطيها مبلغ من المال تختفي بعدها من حياتهم ام تستغل الفرصة و تقتلع المسألة من جذورها... انتبهت على محاولة نوسة النهوض..فزفرت بعصبية

زينب بتأفف : راحة فين

نوسة ببراءة و نظراتها زائغة : الهدوم بتاعتي فيها الورقة..

انتفضت زينب من مكانها و امسكت يد نوسة بعنف لتوقفها فتاوهت نوسة و التفتت لها

نوسة ببراءة و ملامحها تتألم : هجيب لك الورقة

زينب بتافف و هي تبتعد : لأ مش وقته خليكي هنا دلوقتي

كادت زينب تُغادر حين سمعت نوسة تنادي

نوسة ببراءة : خالتي انا جعانة اوي

التفتت زينب لها و اشارت بيدها و قالت بتأفف

زينب بتأفف : عندك الصنية كُلي..

و ما كادت تتحرك زينب خطوة أخرى حتى مضت نوسة بيدها حكم الإعدام حين قالت..

نوسة ببراءة : هو فين أبويا...

زينب بغضب قبل أن توصد الباب بقوة : مات

تغير وجه نوسة و بهت و ارتسم ملامح البؤس عليه لكنها تحاملت على نفسها و قامت لتأتي بالصينية فوضعتها على الارض و جلست أمامها و رفعت الشال الذي يُغطيها لتكشف عن حلم آخر يتحقق... فراخ و رز و سلطة و و ما هذا الشيء.. كانت نوسة تُحدث نفسها و وجههامستبشراً متهلل الاسارير... كانت تلتفت في المكان بسعادة و يدها لا تتوقف عن إمداد فمها بالطعام حتى شعرت باصوات في الخارج و لم يُمهلها الوقت لتكتشف ماذا هناك اذ وجدت الغرفة تُفتح عليها و فوجئت برجال أمامها و منهم من يرتدي ثياب شرطة و لم تشعر بنفسها الا و احدهم يشدها من ذرعها بقوة لتقوم منتفضة تصرخ من الالم و تحاول المقاومة فتدفعها يد المخبر بقوة فتتكفى بثيابها لتسقط على

الارض فتركلها قدم احد منهم فتصرخ و تبكي بشدة تحاول ان تستجمع انفاسها لتنطق فتعجز فتُجهش في البكاء... ظلت تدفعها الايادي و تركلها الاقدام و هي تصرخ و تبكي حتى خرجت من المنزل حيث توقفت سيارة الشرطة.. دفعها المخبر في مؤخرة شاحنة سيارة الشرطة و ركب بجوارها مخبران و حين حاولت بسذاجة ان تنزل مع تحرك السيارة صفعها احد المخبران على ووجهها بقوة نزفت منها شفاها و عقدت الانفاس فيها فابتلعت غصتها و جلست في صمت تبكي مستسلمة... كانت زينب في الشرفة تُتابع بجمود ما يحدث بالأسفل فلما ابتعدت السيارة عن مرمى عينها...فلما ابتعدت السيارة عن مرمى عينها...زفرت بقوة و مسحت وجهها و التفتت لتدخل و تلقي نفسها على اول مقعد بطريقها و قد ارتسم على وجهها علامات الغم و القلق...لم تتخيل ان يكون التخلص من الفتاة اسهل مما ستواجه مع ابنها لتبرر اختفاءها...

كانت رحمة جالسة على كنبة و تطلع من شباك صغير منخفض بجانبها..تسند رأسها على يدها المتسنده على حافة الشباك و تدور ببصرها تُتابع هذا و ذاك لكن بالها في مكان آخر.. كانت تتنهد من حين لآخر بغُلب و يأس... ها قد ابتسم الحظ لنوسة و عادت لاباها و أهلها و ستعيش احلامها و ماذا عني... ليس لي اب غني و لا عائلة احتمي بها فكيف سأحقق أحلامي... تنهدت ثانية.... ها أنا استسلم و استلم إرثي الذي طالما هربت منه.. سأتزوج ان كان ما سافعله زواج و سأصير مثل أمي... سأصبح ذبيدة ثانية..!أُضاجع لأُطعم....و انتقل من فِراش لفِراش بورقة تكون بلا قيمة بمجرد كتابتها... و ماذا لو أتيت برحمة اخرى و بسمة ثانية لتُكمل حلقات جديدة في سلسلة الرُخص و البؤس و الحرمان... تنهدت و زفرت انفاسمُحملة بالألم و القهر... كانت غارقة في أفكارها حين اتفزعت على يد تهزها بقوة

ذبيدة بنفاذ صبر : بقالي ساعة بنادي

رحمة بفزع صارخه و هي تعتدل في جلستها :
اييييه القيامة قامت

ذبيدة بتحمس : لأ طاقة القدر اتفتحت لك..

رحمة بفتور : اشمعنى..

ذبيدة بسعادة و هي تجلس بجانبها : عريسك جاي يشوفك النهاردة و عايز يدخل بكرة

رحمة بعصبية : يشوف ايه و يدخل فين

ذبيدة بغضب : قال بطلو ده و اسمعو ده... ما تقعدي عوج و اتكلمي عدل... يعني ايه هيشوف ايه و ايه اللي هيدخل فين..

رحمة بغضب : ماهو مش شايفاني مش عارفه اقف على رجلي و تقولي لي اتجوز..

ذببدة بتهكم : هو انا بقولك خُشي سبق..

ثم اضافت و هي تنتفض من مكانها لتغادر : يظهر اني خدت و اديت معاكي كتير ف الكلام... قومي يا حلوة اغسلي لي وشك و ظبطي نفسك عشان المغرب العريس هييجي...

و قبل ان تغادرها التفتت و قالت بحسم : و حطي في دماغك لو قال نكتب النهاردة هنكتب انا عاوزة اخلص بقه من همك و استريح

غادرت ذبيدة المكان و هي تمصمص شفايفها فزفرت رحمة بقوة و رفعت رجلها على الكنبة و استلقت على جنبها و غطت رأسها بذراعها و توسدت ذراعها الآخر..

توقفت سيارة الشرطة و هبط المخبران و جذب احدهم نوسة التي بدت مستسلمة تماماً حتى دموعها جفت و كأنها ايقنت انها لن تُجدي نفعاً بعد الآن و لن يُقدرها أحد... مسكها من ذراعها فأحكم قبضته عليها و مشى بها داخل القسم...دفعها أمامه لتصعد السلالم حتى الدور الثاني فعاد و قبض على ذراعها و مشى بها حتى توقف أمام حُجرة مغلقه يقف أمامها عسكري يُدخن سيجارة.. همس له بشيء فدخل العسكري و بعد دقائق خرج ليشير للمخبر ان يدخل فدلف و على وجهه ابتسامة ودودة و ضرب الارض برجلة و رفع يده مُحيياً الضابط

المخبر : تمام يا باشا...

كان الضابط يجلس مضجعاً وراء مكتبه و يعبث بهاتفه فلما انهى المخبر تحيته و وقف ساكناً ... رفع الضابط بصره بتكاسل و اعتدل في جلسته بتباطء... و تنحنح و سعل ثم نظر لنوسه التي نكست رأسها و بدت في عالم اخر و وجه كلامه للمخبر بتكلف

الضابط : هه عملت ايه

المخبر : جبناها يا فندم

الضابط يعود ليضجع على مقعده و لا يزال ينظر لنوسة : طب نزلها لي الحجز لحد ما تترحل يوم السبت..

المخبر : بس دي تحت السن

الضابط بغضب مقاطعاً : انت هتعلمني شُغلي...

ثم عاد لنغمه الهدوء و اشار له بيده : يلا نزل الغجرية دي الحجز لحد ما نرحلها للقسم اللي هي تبعه كمان يومين...

ادى المخبر التحيه و جذب نوسة من يدها و انصرف...و قبل ان يُغلق الباب حتى كان الضابط يضع الهاتف على اذنه و يتحدث مع أحدهم

الضابط ضاحكاً : تمام يا خالتي..

الضابط بجدية : شكراً ايه بس هو في بينا كده...

الضابط بمرح : و الله وحشني اكلك و جو شقة المتسولين

الضابط مقهقها : و الله ما حد يستحمل اللي كنا بنعملوا عندك.. ده الحاجة بتقولي خالتك زينب دي جبل يعني ربنا رزقها بواد واحد تقوم تشيل هم 5 مجانين

الضابط : خلاص و الله لما يرجع خالد بإذن الله هاجي.. بس بالله عليكي لو عاوزة حاجة قولي انت و الله ف معزة أمي...

الضابط : ماشي ف رعاية الله.. سلام عليكم....

عاد الضابط ليعبث بهاتفه فيما كان المُخبر يقود نوسة لمحبسها و هي غائبة تماماً حتى أنها لا تفكر في اي شيء و كأن عقلها سقط منها بفعل الصفعة و من بعدها استسلمت.... كانت تمشي معه بخطوات متثاقله فيغمزها بقبضته التي احكمها حول زراعها فتسرع... عيناها تعلقت بالأرض و قلبها قد توقف تماماً و كأنه غادرها.. تشعر ان بداخلها خواء....و كأن الانفاس التي تتنفسها لا تجد شيء

يحتويها فتضيق من ذلك وتخرج بسرعة.... ما ان وصلا لغرفة الحجز و فُتح الباب حتى دفعها المخبر بقوة و هو يقول بغضب

المخبر : ادخلي يا غجرية

ثم اغلق الباب خلفها بقوة.... كانت قد سقطت على الارض بفعل الدفعة فلم تحاول النهوض بل لملمت نفسها حيث سقطت و رفعت رجليها فضمتهما لصدرها ثم استلقت كجنين في بطن امه و اغمضت عينها و ظلت تُتمتم بكلمات دون ان يخرج لها صوت و دموعها قد حفرت لها مجرى تسلكه في صمت مرير.... لكنها حتى لم تنعم به إذ صاحت صارخة من الالم فهناك من أمسك بشعرها و شده بقوة لينبهها...

إحداهن بتهكم : انت غجرية... هو انتو ايه مش هتنظفو بقه... و بعدين انت مش صغيرة ع الحجات

دي... مستعجلة ع ايه يختي

كانت نوسة قد اعتدلت في جلستها و لا يزال بصرها معلق بالارض و وجهها غارق تماماً في الدموع و طمسته ملامح البؤس و الشقاء... لم ترد على المرأة فزاد غيظها..

المرأة بغضب : و ايه اللي انت لابساه ده... ملقولكيش ملايه يستروكي بيها..

ثم بصقت عليها وأكملت بقرف : ياتك القرف فيك و نجاستك..قوّ متي بطني...

ثم ركلتها بقوة و قالت : امشي اتلمي ف ركن هناك بعيد مش ناقصين وساخة...

لملمت نوسة نفسها و لاتزال على الارض و انزوت في ركن الزنزانة... تسند ظهرها للحائط و

ترفع فخذيها لصدرها و تلف ذراعها حولهما و اراحت رأسها عليهما و سكنت تماماً لولا دمعة تفر من بين جفونهاالمغلقة لظُن انها ماتت....

في الحارة او عزبة الغجر كما يطلق عليها.. في ساحة بيت مهجور و على انقاضه بعدما نُظف من الركام ما يمكن إزالته...وُ ضع كنبتان بلدي من الخشب بجانب بعضهما و قُرش فوقهما ملاءة تُخفي خشبهما الذي نخره السوس ثم وضع عليهما مِقعد لصالون مذهّب قديم ذهب لون الذهب عن خشبة و بهت لون القماش الذي يكسوه فضاع معالمه حتى أصبح مستحيل معرفة لونه قبل ان يغشاه تلك الدرجة الكئيبة...و من حولها رُصت كراسي من كل نوع بدا أنها قد أتت من اماكن شتى.. فكل بيت قد احضر ما لديه من مقاعد او كنب او حتى حصائر.. اي شيء يمكن الجلوس عليه و كل ذلك من أجل ان تحصل رحمة على ليلتها التي وعدتها بها أمها.. فهاهي فوق الكنبتان على ذاك الكرسي و كأنها الكوشة و حولها كل من تعرفه و يعرفها ليعلم الجميع أنها ستتزوج هكذا كانت تحاول إقناع نفسها

بما ستفعله..لا تهِم الأوراق في شيء....فما الذي ستفعله بورقة مكتوبة عند المأذون ثم يهرب زوجها بعد شهر تاركاً تلك الورقة غير عابئ بها و طفل في أحشائها لتواجه هي و طفلتها اعاصير الحياة و يصبح جسدها برغم تلك الورقة و بسببها أكثر رُخصاً .. فلولا تلك الورقة ما فعل فعلته و ما ابتعثت تلك النطفة في رحمها و لولا ذاك الذي في حاشاها ما باعت جسدها قصراً من أجل ان تطعمه مرة و استباحت ان تبيعه مرّات بعدها من أجل ان تنسى ما فعلته قسراً مرة.. و ها هي اليوم و بعد عشرين عاماً تبيع جزء اخر منها... أنا ابنتها.. ابنة تلك الورقة التي كتبها مأذون و مضى عليها شهود... لمتحميني تلك الورقة كما لم تعِز أمي.. بئس الورقة و بأس ما أتت به.. تنهدت و تلفتت حولها تُحاول ان تتشاغل عن تلك الأفكار.. ابتسمت رغم عنها تهكماً و هي ترى الفتيات يتزاحمن ليعرضوا أنفسهن لعل إحداهن تحظى بصفقة كتلك التي اقتنصتها.. ... يرقصن و يتسابقن في عرض جمالهن و غنجهن و اثارتهن... انتبهت لأيادي الفتيات تجذبها لتنزل معهن تشاركهن الرقص..

حاولت التملص و التحجج بان رجلها لاتزال تؤلمها فامتعضت الوجوه و ابتعدن و هن يهمسن و يلمزن بأنها تتعالى عليهن فتنهدت و مطت شفتيها بتهكم و رسمت ابتسامة على وجهها و تسندت على الكرسي لتقف ثم مدت يدها و اشارت لاحدى الفتيات

رحمة بصوت عالي مشيرة بيدها : سمر.. سمر

الفتاة بسعادة و هي تقترب من رحمة : عيوني

رحمة بحب و هي تمد يدها : امسكي ايدي لما انزل

الفتاة و هي تجري لتحضر كرسي : استني اجيب كرسي عشان تنزلي على مهلك..

رفعت رحمة طرف فستانها الذي كان على شكل حورية لونه فضي من الساتان ضيق من عند

الخصر و كذلك اسفل الركبة له اكمام طويلة فلم تحتاج ان ترتدي شيء تحته ومن أعلى الصدر حتى الرقبه تغطية قماش مخرم بالكاد يُظهر جسدها من تحته لضيق تلك الاخرام.. و حجاب ابيض ساتان يُغطي جزء من شعرها حاسراً عن مقدمة شعرها كله و كاشفاً عن رقبتها و أُذنيها .... كان الفستان لواحدة من الغجر... جزء من ثمنها التي تقاضته مقابل الليلة الاولى.. هكذا تسمى زيجة الغجرية البكر ... كانت تعرف ان الاموال لن تحصل عليها فهي لأمها و ما لها غير" اللقمة و الهدمة " هكذا قالت يوم اصرت عليهم ان يحضروا لها فستان زفاف لتوافق على الزيجة و أمام اصرارها لم يجدوا مفر سوى احضار ذلك الفستان الرخيص لتتلهى فيه و يتم مرادهم.... و عادت الفتاة كما حسبت خالية الوفاض إلا من بعض الثياب و تباهيها بما تذوقته من اكلات لم يسمع بها احد من الغجر قبلها و لكن أحد لم يدري بتلك المرارة التي تتقطر من حديثها و تحاول ان تُخفيها بالضحكات الزائفة... مرارة ذكريات تلك الأيام و ما حدث فيها... لم تحكي شيء كما لم تحكي سابقيها و لن

تحكي لاحقيها عما يُعانين منه... كان ذلك ضرباً من الانكار و طمعاً في النسيان و لكنها لم تستطع ان تُخفي الامر عن رفيقتها رحمة....بعدما انفض الجمع من حولها و لم يبقى سوى رحمة في اول ليلة لها بعد طلاقها...تلاشت البسمة التي جاهدت لتحافظ عليها أمام من جئن ليباركن عودتها و يتطفلن على ما اتت به من ثياب او ذهب... تلاشت كأن لم تكن و انهارت تماماً .لم تحكي كلاماً و لكنها فجرت بركان دموعها فاحرقت كبد رحمة من حسرتها عليها و على ما اصابها...سمر تلك الوردة التي تفتحت قصراً و غصباً ثم أجتُزت بوحشية بغير جريرة سوى انها غجرية و ذاك ميراثها....لم تنطق رحمة يومها تركتها تبكي حتى انهكها البكاء فمالت برأسها على فخذ رحمة الجالسة بجانبها و ظلت تنهنه حتى استغرقت في النوم ظلت تمسح رحمة على رأسها و هي مغمضة العينين و تتخيل يوم ياتي دورها هل ستجد من تبكي له...و ها قد حان قِطافها و قريباً سيأتي ذلك اليوم....وضعت يدها في يد سمر الممتدة نحوها لتساعدها على النزول على الكرسي و منه للأرض... أستلقتها في

أحضانها و شدت عليها بقوة.. فاستسلمت رحمة لها و لفت ذراعها حول جسدها الهزيل... مرت برهه ثم ابعدت سمر نفسها و جذبت رحمة من يدها فلم تخذلها و رغم تألمها لم تمتعض و ذهبت معها... كانت تدفع الفتيات بعيداً و تشير لهن ليصطفوا في دائرة حولهما و رحمة تتابع حماسها ثم خلعت حجابها و لفته حول وسط رحمة تتحزم به و غمزت بعينها لها فما كان من رحمة إلا ان تفاعلت معها و اشارت لاحدى الفتيات بتشغيل أغنية مخصوصة و بدأت ترقص و ترقص و ترقص و كأنها ارادت ان تُلقي بكل طاقتها في الرقص فلا تجدجُهداً في التفكير بشيء و قد كان... مر الوقت و هي على حالها ترقص و ترقص و الفتيات حولها يرقصن تارة حتى يغلبهن التعب فيجلسن و تظل هي و يعدن للرقص معها ثم يجلسن و هي كما هي حتى بدأن يتغامزن عليها فبالكاد رضت ان تقوم لترقص و الآن يبدو ان لا شيء سيوقفها عن الرقص.. نجحت رحمة في تخدير جسدها بانهاكه في الرقص فلم تفكر في اي شيء و بالكاد شعرت بما يحدث حولها حتى وجدت يد تقبض على

ذراعها فالتفتت لتجدها أمها و هنا شعرت بجسدها كله و كأن جبل انهار فوقه فدكّه... تعالت دقات قلبها حتى كاد يخرق ضلوعها... سحبتها يد أمها لتبعدها عن الضجيج... كانت تمشي معها كمن يساق لهلاكه.. لم تتمالك نفسها و بدا عليها الخوف... عيناها مذعورة و الدموع تتسابق على وجنتيها.... و فجأة توقفت رحمة و حاولت نزع ذراعها من قبضة أمها فتوقفت الأم و التفتت نحوها فانصدمت من دموعها..

ذبيدة بدهشة : في ايه يا رحمة

رحمة ببكاء صارخة : رجعت ف كلامي

ذبيدة مصدومة : يعني ايه..

رحمة بغضب و هي تمسك طرف فستانها و تلتفت لتغادر : يعني بح.. مفيش جواز

لم تكد تتحرك رحمة حتى وجدت يد أمها تقبض عليها بقوة و تجذبها لها ثم عاجلتها بصفعة ألجمت لسانها و شدهتها ففتحت عينها على اخرها و تجمدت فيها الدموع و توقف قلبها و إذا بصوت اجش يأتيها فتلتفت امها نحوه

الصوت الأجش : خلاص لحد كده

ذبيدة بأبتسامة متكلفة : خلاص يا حاج..

ثم قبضت على ذراع رحمة و دون ان تلتفت لها جذبتها بقوة و دفعتها نحو الرجل و اردفت

ذبيدة بجمود : عروستك يا عم الحاج اهي.. و ربنا يبارك لك فيها..

بدت رحمة مُغيبة تماماً عيناها تنظر للاشيء و قد ملأتها الدموع و تحجرت فيها .. تناولتها يد الرجل

فمشت معه تُحاول ان تُلاحق خطواته و وجهها مُقفهر و الدموع تتساقط بغزارة في صمت...توقف فجاة فتوقفت على أثره و اذا بيده تدفعها برفق في مقعد السيارة الخلفي ثم اغلق الباب و ما لبث ان شغر مقعد السائق و بدأت السيارة تتحرك و رحمة في جمود تام و كأنها تحت سحر ما او ان هناك قوة خارجية تُسيرها... لم تنتبه لتلك العيون التي كانت تُتابعها من مرأة السيارة الأمامية... لا تزال في صدمة لا تشعر بشيء و لا حتى تبض قلبها... جسدها كله مخدر و عقلها تضج به الافكار.. تتصارع و لا تستطيع ان تدرك منهم فكرة واحدة حتى.. توقفت السيارة.. لا تدري كم مضى من الوقت لكن مع توقف السيارة بدأ جسدها كله ينتفض.. و تتسارع دقات قلبها يدُك ضلوعها.... فُتح باب السيارة و مُدت يد فامسكت بيدها فاستسلمت لها و تحركت بُهداها... تطلعت امامها تستكشف خطواتها... وجدته يحرر يدها و يسبقها بخطوات حتى بلغ مدخل العمارة فتوقف يتحدث مع البواب.. اسرع البواب رافعاً يده ليحييه باجلال و سبقه للداخل... كانت قد بلغته فالتفت نحوها و اخذ

بيدها ثانية و دلفا للعمارة التي بدا مدخلها نظيفاً راقياً ... كان البواب قد احضر المصعد و فتحه مشيرا لهما بالدخول فيه... كانت دموع رحمة قد جفت في مقلتيها و بدأت منشغله باستكشاف المكان تحركت مستسلمة ليده فدخلت المصعد و تابعته و هو يضغط الزر و ما لبث ان تحرك المصعد.. اضطربت و رجعت للخلف تتسند بظهرها للحائط و عيناها تبرقان من الانبهار...لم تركب يوماً مصعد و لم تتخيل ان تدخل عمارة كتلك و لو حتى لتمسح سلالمها... توقف المصعد بعد دقيقة او إثنين... خرج هو.. تلفتت برأسها تستطلع المكان و هي تتبعه... وقف أمام احدى الشقق و أدار المفتاح في الباب و ما لبث ان انفتح الباب... دلف فتبعته و لا تزال زائغة البصر هنا و هناك.... انتفضت على غلق الباب من خلفها فالتفتت و لأول مرة تنتبه له... ابتلعت ريقها و هي تنظر إليه و قد زال بريق عيناها و حل محله الخوف...كان يتطلع نحوها و وجهه مبتسم من غير ان تظهر أسنانه... لا تدري ما أصابها.... وجدته يمر من جانبها فتبعته بغير وعي و بدون ان يُشير لها حتى لتفعل.. فقط

تبعته.... دخل من باب احدى الغرف ما ان بلغتها حتى وجدته جالساً على فراش كبير فخم... دار بصرها في الغرفة التي بدت اكبر ضعفين على الأقل من منزلها.. بل إنها لم ترى منزلاً في العزبة كلها قد تقترب مساحته منها... رفعت بصرها لاعلى ففُغر فاهها من جمال الثُريا التي تزين بها السقف.. لم تشعر بالابتسامة التي ارتسمت على وجهها... انتبهت على صوت تنحنحه...

هو بوجه بشوش برغم وقاره مشيراً لها : تعالي يا رحمة اقعدي ريحي..

قالها بلهجته الصعيدية بصوت اجش فتلاشت الابتسامة من وجهها و حلها الوجوم.. انتفضت مبتعدة حين وجدته قام واقفاً ... اتسعت ابتسامته و كأن خوفها يًمتعه... مسح وجهه بيده و عدل هيئته و تتخم و سعل ثم إقترب منها فلم تتحرك كانت جامدة مكانها... اخذ يدها و اجلسها على السرير فاستسلمت له و لا تزال عينها تتفحصه و فاهها

فاغر...لم ترى رجلا مثله.. لا تدري كيف لم يمر عليها رجلاً مثله.... لم ترى احداُ طول حياتها كلها يقترب منه حتى... لا تدري ماذا أصابها.... كان طويلاً ضخم الجثة باعتدال..أسمر مستدير الوجه لحد ما .. حاحباه كثيفان و شديدي السواد... له شنب كثيف مهذب يعلو شفاه مكتنزة... عيناه صغيرة بياضها يميل للاحمرار قليلاً و لونهما بني فاتح ذات بريق و كأنها تضوي... لا تدري لعل الاضاءة هي ما تضفي عليهما ذالك البريق لكن بهما شيئاً اخر لا تستطيع تحديده تجعلها لا تستطيع ان تبعد عينها عنهما... كان يضع طاقية بيضاء كتلك التي يرتديها الرجال للصلاة يوم الجمعة.... تابعت يده و هي تهبط على رأسه لتزيل الطاقيه و وضعها في جيبه ثم اعاد نفس اليد لتمشط شعره ليعيد تهذيب هيئته فيما كانت يده الاخرى تعبث بحبات مسبحه...تعجبت من كثافة شعره و شدة سواده و لولا خُصلات بيضاء لامعه زينت مقدمته لظنت أنه قد صبغه.... ظلت عيناها تتنقل بين جوانبه تتفحصه...وجدته يبتسم لها و شرع يخلع البالطو بروية كاشفاً عن جلباب بني غامق... وضع

البالطو بعناية على مقعد بجانبه و عيناها لاتزال تتابعه... أقترب منها و يده تعبث بشاربه..جلس بهدوء بجانبها...كانت رحمة مُخدرة تماماً تنظر أمامها و كأنها تتظاهر بالاستسلام فما كاد يضع يده عليها حتى اجهشت في البكاء و تعالى صوت أنفاسها و كأنها تُصارع لتلتقطها.. كانت تنظر أمامها و لم تلتفت له حتى.. كانت تُردد بصوت يكاد يكون غير مسموع " انا قولت لها رجعت ف كلامي" لم تكد تُكمل جملتها حتى وجدت نفسها بين أحضانه... يضمها بقوة... فلم تقاومه بل دفنت نفسها فيه و زاد بُكائها..ظل يمسح على ظهرها حتى انتظمت أنفاسها و هدأت فابعدها عنه.. كانت مُنكسة الرأس و على وجهها بقايا الدموع.. كان وجهه لايزال مبتسم ...همّ واقفاً فانتبهت و رفعت بصرها نحوه مستغربه... وجدته و قد اتسعت ابتسامته حتى بدت نواجزه يُشير لها قبل ان يُعطيها ظهره مُغادراً قائلاً بلهجته الصعيدية ..

هو : قومي يا ست البنات اقلعي الفستان ده و البسي جلابية من الدولاب و اتوضي خلينا نصلي

ركعتين..

غدر الغُرفة تاركاً إياها في وجوم تام... كانت مصدومة تماماً ... ظلت جالسه مكانها و عيناها على الباب حيث غادر هو منذ دقائق حتى وجدته أمامها و قد زالت ابتسامته فتوقفت أنفاسها..

هو بجدية مشيراً لها لتقف : مبحبش اعيد كلامي مرتين...

ثم اضاف بصوت عالي : خلصي..

انتفضت رحمة واقفة و أسرعت تتعثر بخطواتها نحو الدولاب... رفعت حاجباها و فتحت عيناها على آخرها مما تراه.. كان الدولاب ممتلاء بثياب من كل الألوان و الأنواع... مدت يدها تتحسسهم و قد اتسعت ابتسامتها و كاد قلبها يُحلّق من فرط سعادته... انتبهت لصوته..

هو : أنا قاعد بره خلصي و تعالي..

ثم اضاف بعد برهه من الصمت : أنا بالي طويل بس متخلنيش اوريكي وشي التاني.. دقيقتين و الاقيك قدامي..

قالها بلهجته الصعيدية و أغلق الباب فتسارعت دقات قلبها و هي تلتقط قطعة من الثياب وجدتها بيجاما فازداد اضطرابها و هي تُلقيها و تتلقف اخرى فوجدتها بيجاما اخرى فالقتها و التقطت اخرى و قد زاد توترها حتى التقطت قطعه وجدتها جلباب اسرعت تخلع الفستان و تواري جسدها بالجلباب و هرعت لتلحق به.. لم تنتبه ان الجلباب نص كم..وجدته جالساً على احدى المقاعد يُدخن سيجارة بانسجام.. انتبه لها فرفع بصره و برقت عيناه و هو يتفحصها في جلباب زهري باكمام قصيرة مبرزاً بياض ذراعيها.. و قد غطت شعرها بحجاب ابيض هو نفس الحجاب التي كانت ترتديه لكنها غيرت وضعيته ليُغطي شعرها و يتدلى على

رقبتها.. . قام واقفاً و لاتزال السيجارة باحدى يديه و يده الاخرى تعبث بشاربه.. ابتلعت رحمة ريقها و حبست أنفاسها و تلجمت و لكنها لم تستطع ان تهرب بعيناها بعيداً بعدما وقعت فريسةَ شِباكِ عيناه حتى أحست بيده تتحسس ذراعها و انفاسه الدافئة تعبث بوجهها..

هو بصوت خفيض : مينفعش تصلي بدراعاتك باينه..

تجمدت مكانها و كأنه قد القى عليها تعويذته... لم تشعر بشيء حتى وجدته يضع شيء عليها... انتبهت فوجدته ذاك البالطو الذي كان قد خلعه بالداخل... تركها و دخل ليحضره لها ثم عاد و وضعه عليها.. أبتسمت و شرعت ترتديه و هو يتابعها و لازال يعبث باصابعه بشاربه و تلك الابتسامة تُزين طلّته... انهمكت تُغلق ازرار البالطو تتشاغل عنه فانتبهت لصوته يتتخم ثم قال بصوت رخيم و هو يتحرك.. تنحى جانباً حيث سجادة

الصلاة و وقف معتدلا مُعطياً ظهره لها

هو بصوت رخيم : كفاية... خلينا نستفتح و نصلي الركعتين لجل ربنا يبارك

تابعته رحمة و هي لا تدري ماذا تفعل... التفت نحوها و قد بدت عليه الجدية

هو عابساً : اتحركي يا بت مش هنقضي الليلة مبلمين أكده..

أسرعت تقف بجانبه فمد ذراعه ليرجعها عنه قليلاً ثم رفع يديه مُكبراً .. لم تدري رحمة ما الذي عليها أن تفعله فوقفت مكانها فيما شرع هو في صلاته حتى انتهى... مسح على وجهه بكلتا يديه بخشوع ثم التفت و لازال في جلسة التشهد فوجدها واقفة مكانها فبدت عليه الدهشة ثم الغضب و أنتفض واقفاً و صرخ فيها..

هو بغضب متسائلاً : أنت مصلتيش

رحمة حركت رأسها نافيه و وجهها جامد بلا اي تعابير.. فاغتاظ و امسك بذراعها فبدا عليها الذعر و أبعدت وجهها عنه و رفعت يدها الحُرة تُفادي عن نفسها..وجدته يحررها ثم افتعل السُعال و تحرك بعيداً ثم قال و هو يواليها ظهره..

هو بصوته الرخيم :انتِ عن....

لم يكد يُكمل كلمته حتى قاطعته رحمة

رحمة مقاطعة : مبعرفشي أصلي

لم يلتفت لها... فظنت أنه لم يسمعها فتحركت نحوه حتى وقفت أمامه ثم اعادت جملتها

رحمة : أنا عمري مصليت و لا أعرف حد بيصلي و.....

هو مقاطعاً بصوت خفيض و هو يتنحى جانباً ليهوى بجسده على المقعد و ينكس رأسه و يعبث بشاربه : لا حول ولا قوة..

رحمة مكملة و هي تتحرك لتصبح أمامه : و لا حتى شفت حد بيصلي...

هو مقاطعاً و قدبدا عليه التأثر و لا يزال مُنكس الرأس : طيب يا بنت الحلال فهمنا...

اقتربت رحمة أكثر ثم ركعت على ركبتيها لتصبح أقرب..رفع رأسه لتلتقي عيناه بعينها.... كانت قد غرقت بالدموع.. فاغمض عينه مستغفرا بدون صوت حتى سمع صوتها الباكي..

رحمة باكية : علمني اصلي.. ع الاقل اكون طلعت لي بحاجة...علمني اصلي و اعتبره من ضمن التمن..

لم تكد تُكمل جملتها حتى رفع فتح عينه على اخرها و امتعض وجهه و انتفض واقفاً دافعاً جسدها لتخر جالسه على الأرض و قال بغضب

هو غاضباً : تمن.. تمن ايه.. ليه هو أنا مأجر واحده ازني فيها.. انتِ اتخبلتي ف مخك..ده انتِ لو مفكره كده تبقي متلزمنيش.. انا ميبقاش على ذمتي واحدة بتبيع شرفها

رحمة صارخة و هي تبكي : أمال اتجوزتني ليه

هو بتعجب : اتجوزتك ليه..

ثم و هو يضحك بتهكم و يضرب كفيه : اتجوزتك ليه.

ثم هو ينحني نحوها ليقترب منها : اتجوزتك عشان الحلال..

هي صارخه : الحلال عند المأذون...

اعتدل بجسده و ظل ينظر لها بغضب و هي تبادله بنظرات تحدي و عيناها تفيض بالدموع... حتى أبعد بصره عنها و تحرك ليهوى بجسده على الكرسي و وجهه مقفهر من الغضب و ما لبث ان اشعل سيجارة ثم اخرى و واحدة اخرى... كان يزفر انفاسه بقوةمن حين لاخر موجهاً نظره بعيداً عن رحمة التي ظلت على الارض و قد جفت دموعها و هدأ روعها و بدا عليها الندم على فعلتها و هي تتابعه و هو يُشعل سيجارة تلو الأخرى فكأنما يُشعل في قلبها نار يؤججها صمته و إعراضه عن النظر لها... فلما مد يده لعلبة السجائر

ليشعل السيجارة الرابعة سبقته يدها فتلامست يده بيدها فالتفت لها و قد تبدلت ملامح الغضب بملامح الحزن.. فاقتربت منه ولا تزال تقف على رُكبتيها..

رحمة بندم : حقك عليه.. مقصدتش..

التفت بوجهه بعيداً و زفر بقوه فامسكت رحمة بيده و قبلتها فالتفت نحوها بسرعه و نزع يده بعيداً و هو يستغفر فوجدها تهبط بوجهها على الارض تُقبل قدمه فانحنى ليرفع رأسها يفزع..

هو بفزع : ايه ده..

انتفض واقفاً و ابتعد عنها.. ثم التفت نحوها وجدها تجلس على الارض و تتطلع له بعيون راجية متوسلة فمشى نحوها ثم خر بجسده ليجلس على الأرض بالقرب منها مُسنداً ظهره للمقعد.. فقربت رحمة جسدها منه و عيناه تتابعها... كانت تُحاول

الابتسام فبالكاد مطت شفتيها.. أمسكت يده و وضعتها بين كفيها و ظلت تتطلع في عينيه تترجاه بغير كلماتٍ ليلين لها... مرت دقائق و لازالت عيناهما تتبادلان الرسائل ما بين عتابه و ندمها حتى حرر يده من بين كفيها ثم جذبها لحضنه فاستسلمت و ظلت تُردد بأسف..

رحمة آسفة : حقك علي... أنا كده طول عمري بهيمة مبعرفشي اتكلم..

ظلت تكرر جملتها حتى ابعدها عن حضنه و ابتسم لها فتهللت اساريرها و امسكت كفه و هبطت بوجهها عليه فقبلته ثم رفعت بصرها تستكشف وقع ما فعلته فوجدته يبتسم لها ثم مد يده يمسح آثار البكاء عن وجهها الذي تلطخ من الكُحل و المكياج.. فضحكت وحاولت ان تتجاوز ما حدث.. و قالت بمرح و هي تحاول ان تنهض من على الأرض ..

رحمة بمرح : هقوم اغسل وشي.. اكيد شكلي بقه عفريته..

لم تكد تستقيم واقفة حتى وجدت يده تقبض على مِعصم يدها تستوقفها و جذبها و قد تلاشت الابتسامة من على وجه فبهتت ابتسامتها و هبطت جالسة ثانية بجواره على الارض...

رحمة بتاسف : حقك علي سامحن..

هو مقاطعاً بصوته الوقور : اسكتي يا بنت الحلال و اسمعيني للاخر

ابتلعت رحمة ريقها و اومات براسها موافقة فاخذ نفس عميق و شرع يتحدث و عيناه تباشر عيناها و

كأن الكلمات لن تكفي لتوصل مُراده

هو بصوته الرخيم و لهجته الصعيدية : أنا من عيلة كبيرة ف سوهاج و بوي كبير خواته.. 9 اخوات رجاله كلهم و لما أخوهم الصغير اتقتل في تار قديم و بعد موته بشهر مرته خلفت بنت ... و زي عوايدنا بوي اتجوز مرت اخوه عشان تتربى بنته وسطينا و سبحان الله كل خِلفت اعمامي و ابوي صبيان و كانت هي البنت الوحيدة ف دار بتلمنا كلنا.. كان الكل متعلق بيها و ميرفضلهاش طلب ابداً و هي كانت زي النسمة ... لما تمت 15 سنة كل ولاد عمها و أولهم أني عرضنا نتجوزها و هي اختارتني اني... و الله بقالها على زمتي 30 سنة مرفعتشي حِسها علي و لا ردت لي كلمة و لا شفت منها غير كل طيب...

صمت لوهله اخذ فيها نفس عميق شعرت رحمة و كأنه ملئ به رئتيها فقد بدت مُغيبة تماماً و هي تُنصت له وعيناه تحتضن عيناها تقص عليها

الحكاية لتصدقها بعدها الكلمات.. زفر أنفاسه و كأنه يزيل عبء عن كاهله و اردف قائلاً ..

هو بنبرة حزينة : حتى لما ربنا ما أرادلناش بالخِلفة.. صبرت و من غير حديت و لا شكاية.... و عمرها ما قالت و لا حتى رمت بكلمة ف الموضوع و لما اُمي فتحتها ف الموضوع و خدتها و كشفت عليها و طلعت سليمة و مفيهاش عيب رضيت بنصيبها و مطلبتشي تطلق و تشوف حالها مع غيري و تجيب لها عيل و لا تنين..

صمت ثانية و لكن هذي المرة ادار بصره عن عيناها و نظر للارض كادت تنطق لولا انه شرع ثانية في الحديث لكنه لم يرفع بصره عن الأرض...

هو بوقار : انا و الحمد لله ربنا موسع ف رزقي و بسافر بحري و قبلي من محافظة لمحافظة اعمل

مصلحة هنا و سبوبة هنا و أنا راجل يعني و لامؤاخذه محتاج مره جمبي تشوف راحتي.. و الست أم أحمد مرتي ملهاش ف السفر و الشحططه واريا... يعني هي قاعدة هناك ف البيت الكبير مع أمي و أمها وسط باقي حريم خواتي و ولاد عمامي.. فقلت اتجوز واحدة منين ما اروح اخدها معايا... واحد معرفه شار عليه اتجوز واحدة من الغجر على أساس أنها بتكون طوع عن بنات البندر و تسافر مطرح ما اخدها و لا تقول اشوف أمي و لا ابويا.. و دلني عليكي.. و جاب لي صورتك و حسيت اني مرتاح لك و لما لقيته بيقول أمك مصممة يبقى العقد عُرفي..

شهقت رحمة من وقع صدمتها فرفع بصره نحوها متعجباً ..

رحمة بذهول :أُمي اللي قالت يبقى عُرفي

هو باستغراب : اه هي اللي صممت ان العقد يبقى عُرفي.و قالت ان ده سِلوكوا. . و أنا سألت شيخ و قال أن لو في اشهار يبقى الجواز حلال..

رحمة مقاطعه بصدمة : طب ليه عُرفي.. أمي ليه خلته عُرفي..

كانت عيناها تنظر له نظرات ذبيح... شعرت أنه يعرف الاجابه حين هرب من نظراتها..

رحمة بتوسل : و رحمة الميتين تقولي لو تعرف أُمي صممت ع العُرفي ليه..

هو بحزن و لا يزال بصره مُخفض : استغفر الله العظيم...

رحمة بتوسل و هي تمد يدها توجه وجهه نحوها لينظر لها : و رحمة النبي تقول.....

هو مقاطعاً و هو ينظر اليها بأسى : اللي أعرفه أن الغجر بيعملو كده عشان يهربوا من موضوع العِدة و العياذُ بالله.. يعني لو جالها جوازه تانية ف أي وقت تقبل و طبعاً العُرفي مبيتسجلشي فمحدش هيحسب حساب لعِدة و لا غيره...

اخفضت رحمة رأسها و بدت جامدة تماماً و لولا دمعة تسقط من ان لآخر لظُن أنها قد غابت عن الوعي ... مضت دقائق و هي على حالتها.. و هو أيضا لم يتحرك... كان ينظر لها نظرات شفقة... لكنه قرر فجأة النهوض فقام و نفض جلبابه و مسح على شعره ثم رمقها بنظره اخيرة و تولى منصرفاً للغُرفة...جلس على حافة السرير مُنكساً رأسه و قد وضعها بين كفيه لم تمضي دقيقة حتى سمع صوتها.. وجدها راكعة على ركبتيها و تنظر له و

بعيناها بقايا دموع..

رحمة بصوت خفيض : يعني انت مش هطلقني

هو بتعجب : و اطلقك ليه...

رحمة ببكاء : عشان من الغجر و رخيصة..

هو بعصبية مقاطعاً : لا حول ولا قوة الا بالله..
رخيصة ايه و خبل ايه....

رحمة ببكاء : طب لو مراتك قالت لك تطلقني

هو بنفاذ صبر : و ايه اللي هيعرفها....

ثم عاد لهدوءه : بصي يا بنت الحلال أنا بنت عمي دي تاج على راسي و مش هنكر انها لو طلبت مني اطلقك هطلقك... بس خليني اقولك ان ده مش

هيحصل لان هي مش هتعرف ع الاقل طول ما انا عايش... عاجبك الحديت ده كان بها مش عاجبك نفضها سيرة و روحي شوفي مصلحتك بعيد عني..

صمتت رحمة دقيقة فما كان منه إلا أن انتفض واقفاً فدفعها ذلك لتهبط جالسة على الأرض فما كاد يتحرك حتى وجدها تمسك بطرف جلبابه تستوقفه فالتفت نحوها

رحمة بتوسل : طب اكتب عليه عند مأذون

هو بثبات : موافق..

ظلت رحمة تنظر في عينيه تتحقق منهما صدقه و لم يطرف له طرف بل ظل ينظر لها بثبات حتى لاحت على وجهها ابتسامة و قامت تتسند فمد يده لها يساعدها فأعطته يدها و قد اتسعت ابتسامتها.... اجلسها على السرير و جلس جنبها و لازالا يتبادلان النظرات بعدما لانت لها ملامحه و ساد

صمت قطعته رحمة قائلة بصوت خفيض..

رحمة بإبتسامة و لم تزل تنظر في عينيه : تصدق أنا معرفشي أسمك ايه..

هو ضاحكاً : بيقولولي يا حاج مجدي

رحمة بغنج و هي تقترب منه : طب و أنا اقولك ايه..

هو ضاحكاً و هو يعبث بشاربه بانسجام : لأ انتِ متقوليش حاجة... أنا اللي هقول

ضحكت رحمة و همّت واقفة فقام هو الاخر من مكانه و جذبها لحضنه... حاولت التمنع و لاتزال صوت ضحكتها يُدوي ثم ما لبثت ان استسلمت له...

فتحت رحمة عينها بتثاقُل و أخذت نفس عميق و هي تتثائب و انقلبت في فراشها.. عادت لتُغمض عينها ثم ما لبثت ان ابتسمت ثم اتسعت ابتسامتها و كأنها تسترجع احداث الليلة الماضية.. فتحت عينها و تقلبت ثانية لتنام على جنبها الآخر...كان لازال نائماً بعمق.. بدا لها و كأنه يبتسم و سمار بشرته يكاد يُضئ..... كان ينام على ظهره و قد تكشف الغطاء قليلاً عن صدره .. اعتدلت رحمة قليلاً لتجلس متكئة بذراعها على الوسادة و مدت أصابعها تتحسس صدره العاري بنشوة و وجهها قد أشرق بأبتسامة ساحرة...و لا تزال عيناها تُقبّل كل بُقعة في وجهه... مضى وقت و هي كما هي لم تفتر و لم تخفت ابتسامتها حتى ألقت بنفسها على صدره و لفت ذراعها حوله تحتضنه و أغمضت عينها و لم تزل مبتسمة.... أما هو فما كاد جسدها يهوى عليه حتى فتح عينه و اتسعت ابتسامته حتى بدا منها نواجزه ثم عاد ليُغمض عينيه و ما لبث ان طوقها بذراعه..... رفعت رحمة جسدها عنه و اعتدلت..

رحمة ضاحكة : صباح الفل يا حاج مجدي

مجدي مبتسماً و هو يعتدل جالساً بتكاسل و هو يمط ذراعيه و يتمطع : صباح الخير يا ست البنات

ثم اردف ضاحكاً : ولا ست البنات ايه بقه

دفعته رحمة برفق في صدره و قد بدا عليها الخجل فتعالت ضحكاته ثم ما لبث ان سعل و عاد لوقاره بعدها محافظاً على ابتسامته الهادئة.. ساد الصمت و لا تزال عيناهما يتبادلان الود و الغرام... ثم قطع صوته ذلك الصمت قائلاً

مجدي بجدية و لا تزال عينه تُعانق عيناها : رحمة أنا عاوز اتفق معاكي على شوية حاجات و مش عاوزك تقولي حاضر بس... أنا عاوزها تتنفذ مهما حصل...

اومأت رحمة برأسها موافقة.. فأعتدل في جلسته و بدأ يعبث بشاربه ثم قال بجدية و قد تلاشت بسمته

هو بلهجته الصعيدية : انا مش هحلف بالطلاق بس اعتبري نفسك طالق مني لو خرجتي من باب الشُقة دي... حتى لو مسكت النار فيها تفضلي قاعدة مادمتي ماخدتيش اذني..

صمت برهه ثم اردف : فاهمه

اومأت رحمه برأسها موافقة... فأكمل بنبرة عالية

هو بجدية :عايز اسمع حِسك... فاهمة..

رحمة و هي تحاول الحفاظ على ابتسامتها : فاهمه

هو : و متفتحيش الباب لحد ابداً اللي يخبط اعتبري نفسك مش موجودة طالما أنا مش هنا يبقى اللي جاي ملوش عازه هنا... و لا حتى تردي عليه سيبيه يحبط لحد ما يتفلق..

صمت برهه ثم قال : فاهمه

اومأت رحمة براسها موافقة فاردف بنفاذ صبر

هو بنفاذ صبر : انا قولت ايه

رحمة : حاضر فاهمه

عبث بشاربه و ظل ينظر في عينيها حيناً ثم قال

هو : مش عاوزك تكلمي اي حد من جماعتكو لا أمك و لا اختك و لا صاحبتك و لا اي حد... لا تتصلي بيهم و لا تعرفيهم طريقك... أقطعي نفسك

عنهم خالص...فاهمه

صمتت رحمة و زاغ بصرها بعيداً ثم نكست رأسها فأنفزعت على يده تهزها بقوة و صوته الغاضب

هو غاضباً : مش قلت عاوز أسمع حاضر..

رحمة بخوف متلعثمة و لا تزال مُعرضه عن النظر نحوه : طب...

هو مقاطعاً بغضب وقد قرب وجهه منها : بصي انا من حقي اخرج من البيت و اقفل عليك من بره و مفيش تلفونات.. لأ و كمان ممكن اقفل عليك باب الاوضة دي بالمفتاح و اسيب لك لقمة تصلبك على ما ارجع لك زي البهيمة لامؤاخذة..

التفتت رحمة نحوه حين قال كلمته الأخيره فتلاقت عيناها بعينيه.. جرحتها كلماته فنظرت له نظرات

عتاب فلانت ملامحه و بادلها بنظرات اعتذار و قال..

هو بلين : بس أنا معملشي كده مع مرتي.. لأني لو كان اللي يمنع مرتي انها تعصاني إني مسلسلها و قافل عليها تبقى متلزمنيش..انا راجل دغري و من الآخر عارف جماعتكو و عارف عيشتكو ازاي..انا خدتك بنت بنوت و اتاكدت انك صاغ سليم يعني تحمدي ربنا انك خرجت من وسطيهم راسك مرفوعة و عشان تفضل مرفوعة لازماً تفضلي بعيدة عنهم..

رحمة مقاطعة بحزن : اختي بوسي

هو بتلقائية : مالها

رحمة و قد اغرورقت عيناها بالدموع : عاوزاها تتعلم و ربنا ينجيها هي كمان..

اخذ نفس عميق و هو يعتدل في جلسته و يلفت رأسه بعيداً عنها و صمت فظلت تتطلع فيه و كأنها نترجاه بغير كلمات لكنه بعدما ابعد بصره عنها قد أعلن وقف المفاوضات في ذاك الامر و كأنه يقول ان الامر نهائي..

رحمة بتوسل : طب بلاش أنا..

التفت مجدي نحوها مستفهماً فحاولت رسم ابتسامة على شفتيها و أكملت

رحمة بأستعطاف : خذ أنت الثواب و انجدها من النهاية اللي انت عارفها..

هو بتعجب : هي اختك دي عندها كام سنة

رحمة :7 سنين

هو : و المطلوب

رحمة برجاء : تبعت لها مصروف كل شهر عشان أمي مطلعهاش من المدرسة و

هو بتلقائية مقاطعاً : موافق..

رحمة بصدمة : موافق..

هو بثبات ناظراً في عينها : باذن الله كل شهر أنا بذات نفسي هروح اسلم لامك شهرية لعلام اختك

رحمة بفرحة و هي تُلقي بنفسها عليه : و رحمة النبي..

ابتسم لها و مد اصابعه يعبث بشاربه و هو يتطلع فيها بنشوة ثم جذبها لحضنه فضحكت مستسلمة له

.....

دسّت أصابعها في شِباك القفص و قربت وجهها منه و بصرها زائغ هنا و هناك... تتطلع في الوجوه خارجه لعلها تجد من تعرفه... كان القفص يجمع عدد من الفتيات جلس بعضهن في اطمئنان بعدما تحدثوا مع ذويهم و البعض الاخر لايزال يقف يتحدث أما هي فلم تجد من يطمئنها فوقفت تتشاغل بأحاديث من حولها.... فجأة انفض الجمع من حول القفص و انصرفوا ليجلسوا في المقاعد المقابلة... انتبهت لصوت يأتي من اتجاه اخر... تحركت بغير وعي تنقل اصابعها في شباك القفص اقتربت قدر ما استطاعت فلم يكفيها... فالصقت وجهها بالقفص لعلها ترى شيء... وجدت ثلاث رجال قد تموضعوا خلف مِنصة و ما ان شرعوا في الكلام حتى ساد صمت مُطبق في القاعة... كانت تسمع و تدوي الكلمات داخلها لكنها لا تدركها..... و رغم ذلك ظلت حابسة لانفاسها ملصقة وجهها بالقفص لعلها تعرف ما سيحدث لها... شعرت بيد تدفعها من الخلف... التفتت

بتلقائية فوجدت فتاة تصيح فيها

الفتاة : قولي موجودة

التفتت نوسة بفزع امامها ثانية و رددت : موجودة موجودة

الصقت نوسة وجهها اكثر بالقفص حتى كادت تخترقه ..... فجاة وجدت الرجال الثلاث ينصرفوا و علت الاصوات ثانية في القاعة ولم تكد تستوعب ما يحدث حتى وجدت الايادي تدفعها و اذا بها خارج القفص.... لا تدري الي اين.. تحركت بلاوعي بنظرات زائغة تتعثر بخطواتها حتى وجدت نفسها في سيارة الترخيلات ... انزوت في ركن و هي في حالة وجوم تام و كأنها مُخدرة و اذا بصوت غلق الباب يفزعها فتلتفت بتلقائية صوبه ثم ما لبثت ان ادارت رأسها ببطء و هي تنقل بصرها بين الوجوه... انتبهت لصوت يأتي من

جانبها... التفتت نحوه..

الصوت : إسمك إيه

نوسة ببراءة : نوسة محمد عبد الله

الصوت ضاحكاً : يختي كفاية نوسة هو انا هعملك البطاقة

ضحكت نوسة ثم ادارت وجهها بعيداً متجاهلة الفتاة و عادت لتأمل الوجوه متشاغلة بذلك عن التفكير فيما سيحدث لها... فاذا بالصوت يحاول ان يخرجها ثانية مما تفعله..

الصوت هامساً : انا اسمي هند..

نوسة بغير اهتمام و دون ان تلتفت لها حتى : طيب..

و بعد لحظات صمت شعرت بيد تهزها لتنتبه فالتفتت نحوه..

هند هامسة :بقولك هو انتِ مسكوكي في إيه

نوسة بتلقائية : ضربت واحد بالطوبة في دماغة

لم تُعقب الفتاة و اذا بنوسة تبادر قائلة :و انتِ..

هند : تسول

نوسة ببراءة : يعني ايه..

هند مستنكرة : مش عارفة يعني ايه تسول..

ثم اردفت ضاحكة : كنت بشحت..

نوسة بتلقائية متعجبة : هو اللي بيشحت بيتسجن..

رفعت هند حاجبيها و لوّت شفتيها مستنكرة سؤال نوسة ثم ادارت وجهها بعيداً متجاهله إياها.. ظلت نوسة تنظر لها تنتظر رد فلما خاب املها ادارت هي الاخرى بصرها بعيداً متشاغلة بمراقبة الوجوه و الاحاديث الهامسة... عادت اليد تهزها ثانية فلم تلتفت.... كانت هند... فلما لم تُعيرها انتباها قربت وجهها منها و قالت

هند بهمس : انت عارفة احنا رايحين فين

بغير وعي التفتت نوسة و قالت بتلقائية : فين

هند : رايحين المؤسسة هنفضل هناك لحد ما يحكموا علينا

نوسة بتلقائية : هيحكموا علينا باية

هند بعصبية : انت هتجلطيني اقسم بالله... هو انا اعرف..

امتعض وجه نوسة فادركت هند نفسها و غيرت نبرتها و قالت بهدوء

هند : سيبك من اللي هيحكموا بيه... خليك ف اليومين اللي هنقعدهم ف المؤسسة... يا إما هيبقوا يومين حلوين ناكل فيهم لقمة نظيفة و نلبس هدمة نظيفة و ننام ع فرشة نظيفة و ممكن كمان نعمل قرشين من غسيل غيار لدي و لا خدمة دي... و ممكن تكون ايام سودة و نبقى ملطشة و نداس ف الرجلين و يمكن نطلع من هنا بعاهه مستديمة و لا بِشلة و لا حتى مطلعشي خالص و نتشيع ع مقابر

الصدقة...

نوسة بخوف : طب انا اعمل ايه دلوقتي

هند : بصي المثل بيقول المعزة النافرة بياكلها الديب... طول ما انت لوحدك هينحط عليك و تتركبي... بس لو دخلنا كدة مع بعض و فتحنا صدرنا و ادردحنا و فتحنا مخنا هنخرج على رجلنا من هنا و هنعمل مصلحة حلوة كمان

كانت نوسة تنظر لهند و تستمع لها لكنها لم تفهم شيء فبدت تائهه حتى شعرت بيد هند تهزها..

هند بنفاذ صبر : انتِ نمتي مني و لا ايه.. بقولك عندك كام سنة..

نوسة ببراءة : ف شهر 12 هتم 15 سنة..

هند : حلاوة.. يعني هتخرجي قبلي بسنة..

صمتت هند و هي تتأمل وجه نوسة البريء ثم اردفت

هند بثقة : بصي بقه أنت شكلك هيتعمل عليك حفلة و تتركبي فمن مصلحتك تخليك ف ديلي... يعني مطرح ما اروح الاقيك ورايا و اللي اقوله لك تعمليه و ليكي علي هحميك... أنا عاوزاكي تسبيني اترسمعليكِ قدامهم.. اشتمك و لا حتى اضربك عشان يخافوا مني يقوموا ميجوش عليه و انت خليكي و رايا و ساعتها هيخافوا يجو عليك عشان هتكوني تبعي..

صمتت نوسة و ظلت تنظر لهند بملامح جامدة تماماً فحاولت هند استحثاثها فاردفت بثقة أكثر

هند بثقة : بصي من الاخر تبقي دلدول ليه احسن ما تبقي مرمطون لكل من هب و دب.. و بعدين

الشتيمة مبتلزقشي و اضربك قلمين احسن ما يتعمل لك عاهه مستديمة

ظلت نوسة تنظر لهند و ساد صمت قطعه صوت فتح باب العربة فتدافعت البنات لتهبط فيما حاولت نوسة ان تلصق نفسها بجدار العربة و قد بدت مذعورة و في لحظات خلت العربة من كل من فيها سواها فتحركت ببطء و صوت اصطكاك ركبتيها يكاد يكون مسموع.. نزلت من العربة فإذا بالبنات قد اصطففن بجانب بعضهن.. تحركت بفزع امامهن تبحث في وجوههن التي بدت متشابهه عن ذاك الوجه الذي كانت تُحدثة منذ دقائق قليلة.. وصلت لنهاية الصف فوقفت بوجه شاحب تنظر أمامها و لا ترى شيء و لم تنتبه للفتاة التي مرت من أمامها ثم ما لبثت ان تخطتها و وقفت بجانبها.. كانت على وشك أن تغيب عن الوعي من فرط الخوف لولا ان اخترقها ذالك الصوت الذي تعرفه

هند هامسة في اذن نوسة : قولتي ايه موافقة

التفتت نوسة بتلقائية نحوها و قد بدت عليها السعادة الشديدة و انفرجت اساريرها و بغير وعي امسكت بيدها بقوة فتألمت هند ثم ضحكت و قالت بغرور

هند بغرور : افهم من كدة انك موافقة

كادت نوسة أن تنطق و اذا بصوت يصدح عالياً ألجمهم.. كان لاحد ضباط الترحيلات الذي كان يتحدث مع احدى المشرفات فلما علا صوت همهمة الفتيات جاء صوته ليحبس انفاسهن

الضابط بصراخ : انتم يا أوساخ يا و لاد ــــــــــ

دخل الضابط في وصلة سُباب بألفاظ يندى لها الجبين ثم عاد ليكمل حديثة بلباقة و كأن ذاك الفم الذي يتحدث به الآن لم يكن الفم الذي القى بقذارته

قبل لحظات...لم تحرك اي من الفتيات ساكناً تعلق ابصاهن بخوف بذالك الضابط و هن بحالة ترقب... و بعد دقائق تابعن انصراف الضابط و لم تكد تبدأ الهمهمات حتى انتبهت الفتيات على صوت يصيح ثانيةً

الصوت صارخاً :ضبي لسانك ف بوقك انتِ و هي و عينك معايا هنا

تلجمت الفتياتثانيةً و تسمّرن و كأن على رؤسهن الطير و عينهن على صاحبة الصوت... كانت سيدة ضخمة الجثة.. ليس في ملامحها شيء مميز سوى نظراتها الحادة التي صوبتها نحوهن..

الصوت بنبرة عالية : أنا الحاجة نجية المشرفة على المؤسسة

ثم و هي تشير لأخرى تقف بجانبها : ودي الحاجة زينب هتبقى مسؤلة عنكم... انتم هنا ف المؤسسة

الاصلاحية هتشرفونا هنا لحد ما تتمو 18 سنة...يعني هنا هيكون بيتكم و زمايلكم ف العنبر هيكونوا اخواتكم .. يعني العنبر اللي هو بيتكم عاوزاه شمعة بيبرق من النظافة و مش عاوزة اسمع عن مشكلة بينكم و تسمعوا كلام المشرفة من غير حتى ما تقوله

ثم بلهجة وعيد : اللي بقوله ده مش بمزاجكم ده غصب عن اللي جابوكم هيتنفذ... اللي هتعصى الاوامر و لا تعمل مشكلة مع زمايلها ف العنبر انا بنفسي هخليها عبرة لمن لم يعتبر... و اللي عاوزة تعرف هعمل اية تجرب و تخلي شكوه تجيني منها..

صمتت المرأة و ظلت تنقل بصرها بين الفتيات تطمئن من وقع كلماتها عليهن فلما تأكدت من علامات الرعب التي ارتسمت على ملامحهن اقتربت اكثر و اردفت و هي تشير بيديها ناحية هند

و نوسة..

المرأة : تعالو انتم الاثنين اقفو جنب بعض..

انتفض جسد نوسة من الرعب و شعرت انها فقدت السيطرة على اطرافها ففي حين حررت هند نفسها من قبضة نوسة و تحركت في الاتجاة الذي امرت به المرأة.. ظلت نوسة مكانها تنظر برعب للمرأة التي ما إن صاحت بها لتتحرك حتى وجدت نوسة قدميها تهرع بلاوعي نحو هند لتقف بجانبها.. و ظلت حابسة لانفاسها و قد فقدت الاحساس بجسدها كله و كأنه واقع تحت سحر او تعويذة ما تُسيرها فحين صاحت المرأة فيها ثانية لتبتعد خطوات بحِ ذا هند... وجدت قدميها تتحرك بلاوعي تنفيذاً للامر و ظلت في حالة ترقب لاي أوامر اخرى..

المرأة و هي تُخاطب باقي الفتيات ملوّحة بيدها : صدُفي لي بقه انتِ و هي وراهم... اتنين اتنين كده و

اقفوا واحدة ورا دي و واحدة ورا دي..

ثم بنبرة عالية : يلا اتحركي..

هرعت الفتيات تنفيذاً للأمر فاصطففن وراء نوسة و هند في طابورين و وقفن في ترقب فاذا بهن يجدوا المرأة تقف امامهن..

المرأة ملوّحة بيدها : بصي انت وهي دلوقتي انتو قدامي صفين... كل صف هيبقي ف عنبر و مش هعيد كلامي اللي قلته... العنبر مسؤليتكم كلكم يعني لو عملت تفتيش و لقيتو مش عاجبني نظافته كل اللي ف العنبر هيتعاقب و بردو لو حصل شغب كل العنبر هيتعاقب..يعني من الاخر السيئة هتعم فكل واحدة تخليها ف حالها و تنفذ اللي بيتقالها بالحرف عشان ايامكم تعدي ع خير...

تنحت المراة جانباً و أشارت للمرأة الاخرى لتقترب... تهامست معها ثم علا صوتها ثانية..

المرأة بصوت عالي : الحاجة زينب هتمشي قدامكم و انتو وراها في الصف مش عاوزة هرجله... هتوريكوا عنابركم و هتكونوا مسؤلين منها من اللحظة دي...

هنا التقطت المرأة الاخرى الحديث فاجتذبت الانتباه بعدما وقفت قبالتهم...

المرأة بجمود و وجه خالي من اي تعابير : وريا انتِ وهي و مش عاوزة اسمع همسة اي صوت هسمعه كل الصف هيتعاقب...

تحركت المرأة بخطوات سريعة و هن ورائها بخطوات حثيثة تكاد تسمع صوت لها من شدة السكون الذي ضج بالمكان.... كانت نوسة في حالة لاوعي عيناها متعلقة بقدم المرأة و جسدها كله

تحت تاثير خطواتها..و عقلها متوقف تماماً عن التفكير في اي شيء حتى انها لا تشعر بقلبها و لا نبضها و كأنها جسد بلا روح... جسد يتحرك بفعل تعويذة ألقتها تلك المراة.. طلاسمها وعيد..لم تشعر نوسة بشيء و لم تغفل ببصرها لحظة عن المرأة حتى توقفت و توقف على اثرها الصفان ثم التفتت و بنفس الجمود قالت

المرأة و هي تشير لباب خلفها : ده عنبر 9

ثم و هي تشير لاخر : و ده عنبر 8..

ثم اقتربت من نوسة و أمسكتها بأطراف أصابعها و دفعتها للامام داخل العنبر 9 و أضافت

الحاجة زينب و هي تُشير : يلا انت وهي وراها على جوه..

ثم اتجهت صوب هند و فعلت مثلما فعلت سابقاً ..
في تلك اللحظة كانت نوسة قد استعادت وعيها و مع تعالي أصوات الفتيات من حولها بدأت تستكشف المكان... دارت ببصرها في المكان و اول ما جاء بعقلها هو هل كان علي ان ارتكب جريمة حتى يكون لي سرير و دولاب و حجرة لها سقف خرساني لانام دون ان احمل هم رياح عاتية تعصف به او أمطار تتسرب عبره او شمس تصب جم جحيمها عليه فيبثه في جسدها الضئيل.. فجأة عم الصمت المطبق المكان و دوى صوت المرأة ثانية

المرأة صارخة و هي تُصفق بيديها : أتحركي إنت و هي عاوزة اشوف جنب كل سرير بنت

هرعت الفتيات بفزع ليصطففن بجانب أسِرتهن كما جاءت الاوامر اما نوسة فكادت تتحركو اذا بعينها تقع على السرير بجانبها فتجمدت مكانها و بلاوعي

قبضت على قائمه و كأنها تُعلن بغير كلماتٍ امتلاكها له فما ان ترى احداهن يدها تتشبث في السرير حتى تهرع لتجد غيره و في دقائق معدودة علا صوت المرأة ثانية

المرأة و قد لانت ملامحها ملوحة بذراعيها : اثبتي مكانك بقه انتِ و هي و انتباه عندي هنا.... النهاردة هيكون راحة... من بكرة بقه ان شاء هنشوف هنعمل ايه...

ثم و قد لاح على وجهها ابتسامة : صدقوني لو سمعتو اللي بيتقال و نفذتوه و بطلتو حركات اللبش هتقضوا هنا يومين حلوين...

ثم اردفت و قبل ان تواليهم ظهرها مُغادرة : اللي عاوزة بقه تبقى عِبرة و نضرب بيها المثل للي مبيسمعشي الكلام تجرب حظها و تعمل حاجة...

جلست كعادتها على احدى المقاعد في الصالة و في يدها ريموت التليفزيون و عينها على باب الغرفة.. تتنهد من حين لاخر... ما كاد صوت الجرس يصدح حتى انتفضت و هرعت تفتحه....

زينب بعصبية : اتأخرت ليه يا محمد

محمد و هو يلهث : يا خالتي انا جيت اول ما اتصلتي..

زينب و هي تجذبه ليدخل : طب ادخله يلا

محمد بنفاذ صبر : ادخل له اعمله ايه انا بقالي اسبوع بدخل له و اقعد حنبه و اكلمه و هو مبيرضش .. طب ع الاقل بيرد عليك انت...

زينب مقاطعة و هي تدفعه : ادخل له تاني هو مش صاحبك

محمد بنفاذ صبر : هو انا كنت عملت له حاجة... مش انتِ اللي قولتي لي متردش على مكالماته

فجأة فُتح باب الغرفة و وقف خالد في مدخلها و بنظرات استهجان و نبرة هادئة قاطعهما

خالد : يعني هي كدة يا ماما... قولتي له ميردش عليه..

ثم بنبرة اعلى : طب ليه.. ليه ميردش عليه.. ايه اللي حصل و مش عاوزاه يقولهولي..

زينب بتلعثم : مفيش حاجة حصلت البت مشيت لوحدها و خوفت لو دريت انها مشيت تسيب

مصالحك و تيجي تدور عليها

محمد بأسف : و الله يا خالد ما اعرف حاجة...

حرك خالد رأسه في استنكار ثم و لاّ هم ظهره و عاد لغرفته

محمد بنفاذ صبر و هو يتحرك : لأ بقه انا لازم افهم في ايه

دخل محمد الغرفة و اغلقها خلفه...تقهقرت زينب و عادت لمقعدها و عيناها على باب الغرفة تتنهد من ان لاخر في يأس..

في الغرفة جلس خالد على حافة السرير و رأسه مُنكسة و أنفاسه بطيئة يزفرها بقوة و كأنه لا يريدها... تابعه محمد الذي فبدا عليه الغضب..

محمد بغضب : و قسماً بالله يا خالد لو ما فهمتني في ايه مهتشوف وشي تاني...

لم يحرك خالد ساكناً و لم يرفع رأسه فزفر محمد بقوة و اقترب منه و قرفص رجليه و قال برجاء

محمد برجاء : طيب بالله عليك يا خالد بس فهمني و هنشوف هنعمل ايه نحل بيه الموضوع...

رفع خالد رأسه و نظر لمحمد بعينان أثقلتهما الدموع فصدمت دموعه محمد الذي اعتدل واقفاً ثم جلس بجانب خالد و بت على ظهره... اعتصر خالد خالد عينيه ليتخلص من الدموع التي غمرتها ثم التفت نحو محمد و قال بصوت مخنوق..

خالد بصوت باكي : ماما.. ضحكت علي و قرطستني و مشت اللي ف دماغها

صمت خالد و ظل يعتصر عينيه يحاول التخلص من دموعها فأستحثه محمد الذي بدا عليه التاثر الشديد

محمد بحزن و هو يمسح ع ظهر خالد : طب فهمني ايه اللي خالتي عملته و يستاهل ده كله

تنهد خالد و مسح انفه و عينه بطرف كُمه... ثم شرع يحكي لمحمد عن نوسة او إحسان ابنة عمه و كيف ظهرت أمام بابه و هي في حالة يُرثى بها... و كيف خُدع من امه رغم ما فعلته أمام عينيه و تمزيقها لشهادة ميلاد ابنة عمه تريد أن تسلبها حقها و تطمس هويتها...و الآن و بعدما تخلصت أمه منها و لا يدري اين ذهبت يشعر بالذنب و لا يدري كيف يُصلح ما أفسدته أمه...

صمت محمد و قد بدا عليه التأثر و ظل ينظر لخالد في اسى على حالته بعدما عجز عن إيجاد حل لمُعضلته... حتى وجد خالد يمسح الدموع عن وجهه و ياخذ نفس عميق و ينظر في عينه و اردف

قائلاً

خالد بحزن : قولي يا محمد اعمل ايه و اجيبها منين دلوقتي

محمد بتأثر : متشيلشي نفس الهم يا خالد و بعدين انت ملكشي ذنب

خالد مقاطعاً باندفاع : يعني اسيبها ف رقبة ماما و اتمتع بفلوس حرام و اقول انا مالي

محمد : ما انت بتقول مكنتوش تعرفوا انها موجودة اصلاً

خالد بعصبية و قد انتفض من مكانه : و عرفنا يا محمد... عرفنا و جات لحد عندنا و طردناها و اكلنا حقها

كاد محمد ان ينطق فعجز لسانه ان يأتي بكلمات قد تخفف من مصيبة صاحبه فهو يعلم أنه في مُعضلة حقيقية فصمت و نكس راسه و قد اراسمت على وجهه كل ملامح الحزن فلما رأى خالد ردة فعله اغمض عينه و انصرف بعيداً عنه و وقف بجانب الشرفه و تطلع صوبها و قد اغرورقت عيناه بالدموع مرة اخرى...

ادار المفتاح و فتح الباب و دلف بهدوء كعادته دار ببصره في المكان يبحث عنها... و بتلقائية نادى عليها..

مجدي بوقار : يا رحمة .. بت يا رحمة..

كان يتحرك صوب الغرفة و ينادي عليها... وجدها جالسة على الأرض و تحتها سجادة الصلاة و ترتدي إسدال يغطيها من رأسها لاخمص قدميها...

تسند ظهرها الحائط و تربع رجليها.. منكسة الرأس.. تعبث باصابعها..

مجدي و قد وقف امامها : بت يا رحمة

انتبهت رحمة له فانتفضت على الأرض و هي ترسم ابتسامة باهته...

رحمة : حمد الله على سلامتك يا حاج مجدي

شرعت رحمة في مساعدته في تبديل ملابسه كما عوّدها و لكنها لم تكن على طبيعتها... ظل مجدي يراقبها بنظرات فاحصة و هي تنظر له من ان لاخر فتبتسم له و لا يبادلها الابتسام.. فتهرب بعينها بعيداً .. فلما انتهت.. اولته ظهرها و هرعت للخارج و هي تقول

رحمة : هروح احط لك الغدا على ما تغسّل

مجدي مقاطعاً : مش عاوز اطفح

التفتت رحمة بفزع له و ابتلعت ريقها و نظرت له بخوف.. فاشاح وجهه بعيداً و جلس على حافة السرير ينظر للفراغ امامه و عيناه تكاد تشتعلان من الغضب.. اقتربت رحمة بحذر منه و جلست على الارض أسفل منه.... كان لايزال يرتدي حذائه... تطلعت له فلم يُبادلها النظرات فنكست رأسها... مدت يدها تُمسك قدمه لتخلع عنه حذائه فدفعها برجله و قال بلهجته الصعيدية

مجدي بحدة : متقربيش علي..

انصدمت رحمة من ردة فعله.هل عرف شيئاً ... و كيف عرف اذا كانت هي نفسها لم تعرف اذا كان الامر صحيحاً ام ماذا... ظلت تنظر له تراقب ملامحه علّها تلين لتستفهم سبب غضبه... فلما

يأست نكست رأسها و أخذت نفس عميق و ابتلعت ريقها ثم عادت تنظر له و قالت بتذلل.. .

رحمة : اللي انت عاوزه هعمله يا حاج... ملوش لزوم زعلك... و رحمة النبي انت اهم عندي من الدنيا كلها... بس و النعمة انا ما كنت أعرف و لا كان ف نيتي.. انت قلت بقالك 30 سنة و ربنا مأردشي ف..

مجدي مقاطعاً بأستغراب : انتِ بتتحدتتي ف ايه..

رحمة بخوف : يعني انا قلت ملوش لزوم البرشام ماهو كده كده مش هحمل..

أنحنى مجدي لها بلاوعي و قبض على ذراعها فتأوهت و قال بصدمة غاضباً ..

مجدي غاضباً : ما تنطقي يا مرة انت تقصدي ايه

رحمة بخوف و هي تبعد وجهها عنه : انا شاكلي حامل...

مجدي بصدمة و هو يهزها بقوة : حامل كيف

رحمة بخوف بصوت متألم : الدورة مجتليش بقالها 3 شهور و....

لم تكد تُكمل كلامها حتى وجدت مجدي يحرر يدها و يعتدل في جلسته و قد ابعد بصره عنها و بدت عليه الصدمة فأكملت هي و قد أغرورقت عيناها ف البكاء..

رحمة ببكاء : و الله يا حاج ما كان ف نيتي حاجة...

ثم نهضت على ركبتيها و امسكت يده و قبلتها ثم قالت

رحمة ببكاء : أنا هنزله و الله بس مطلقنيش

لم تكد رحمة جملتها حتى زأر مجدي صارخا و هو ينظر لها بغضب..

مجدي بغضب : أنت بتقولي إيه

رحمة ببكاء : أنا مش عاوزة اطلق و بعدين لو طلقتني هعمل ايه بالعيل انا مش عاوزه ابهدله زي ما اتبهدلت..انا هنزله و

مجدي مقاطعاً بغضب و هو يقبض على ذراعها : انت اتجننتي عاوزة تقتلي ولدي..

رحمة ببكاء متألمة من قبضته : مش احسن ما اطلق و اترمي بيه ف الشارع

مجدي بغضب و هو يهزها بقوة : ليه هو ابن حرام عشان يترمي ف الشارع... ده ابن الحاج مجدي عبد الحميد النوح....

قالها مجدي بعضب و هو ينظر في عين رحمة التي لم تفهم قصده فقالت بصدمة و قد تحجرت الدموع ف عينها

رحمة بصدمة : هتاخد ابني و تطلقني..

مجدي باستنكار و هو ينظر في عينها : انت بتخبلي بتقولي ايه...

ثم اردف بتهكم و هو يحرر ذراعها من قبضته : يظهر قعدتك قدام المخروب التلفزيون أكلت

دماغك...

اعتدل مجدي في جلسته و لاح على وجهه ابتسامة رائقة و ظل يعبث في شاربة و يردد باستمتاع...

مجدي محدث نفسه : حامل...

ظلت رحمة تنظر له تُراقب رد فعله و قد جفت دموعها.. كان كمن غاب عن الوعي او على الأقل كمن يحلق في ملكوت وحده لا يشعر بأحد و لا يبالي... فلما طال الحال به.. قررت رحمة ان تُعيده لعالمها لتطمئن هي الاخرى عن مصيرها... كانت لا تزال على الأرض... قربت نفسها منه و لايزال عيناها عليه... امسكت بقدمه و شرعت تخلع عنه حذائة و قالت

رحمة بود : يعني مش زعلان عشان حملت

لم تتخيل ان يأتي رد فعله بتلك السرعه.. حيث هبط ببصره نحوها و اتسعت البسمة على وجهه حتى بدت منها نواجزة ثم انحنى و قبض على ذراعها بلطف و جذبها لتنهض من على الارض و اجلسها بجانبه و هي مستسلمة تماماً له و عيناهما قد تعلقا ببعضهما ثم قال بسعادة .. .

مجدي بسعادة : في حد يزعل من زرق ربنا.. و مش اي رزق... الرزق اللي طول عمره بيتمناه

ثم اغرورقت عيناه بالدموع و جذب رحمة لحضنه و كاد بعتصرها و هو يردد

مجدي ببكاء : شكراً يا رحمة.. الف شكر.. هتجيبي لي ابن...شكراً ..

ظل يردد شكره لها و هو يبكي و لم تتمالك هي الأخرى نفسها و شاركته دموعها و لفت ذراعها حوله تضمه لها بقوه و كأنها تريد ان تلتحم به...

اغمضت عينها و لم يكن في عقلها سوى فكرة واحدة ظلت تُدوي بداخلها ... يالله كم أحبك..

مر حيناً و هم على حالهما و بدا ان رحمة قد نامت و هي في حضنه..... بعدما ارخت ذراعيها عنه... ابعدها مجدي برفق فوجدها قد غلبها النوم... حملها برفق و هو ينظر لها نظرات عشق و هُيام.. ما كاد يضعها في الفراش حتى فتحت عيناها.. ابتسم لها بتلاقائية... فوجئ بها تمسك بيده بقوة... ضحك و جلس بجانبها ثم قال..

مجدي ضاحكاً : هو أنا هطير..

رحمة بحب : مش زعلان مني..

مجدي بغضب مصطنع : كنت زعلان..

رحمة بخوف : كنت زعلان ليه

مجدي بتذمر : قولت مليون مرة الشبشب بتاعي سيبيه جمب الباب مبحبش ادخل بالجزمة عشان الفرش ميتوسخشي..

رحمة بتودد : حقك عليه و الله على ما نظفت و صليت قعدت زي ما انا و محستشي بالوقت..

مجدي ضاحكاً بسعادة و هو يضمها لحضنه : خلاص سماح عشان خاطر شِحته

رحمة بصدمة و هي تبعد نفسها عن حضنه : شِحته مين

مجدي بسعادة : ولدي..

رحمة باستغراب :اشمعنى شِحتة..

مجدي بسعادة : على اسم عمي الله يرحمه..

كادت رحمة ان تتذمر فلما رأت السعادة تكاد تقفز و تتراقص أمامها لم تشعر بنفسها الا و هي تقول

رحمة بحنو و هي تنحني و تقبل يده : ربنا يطول لي ف عمرك يا ابو شِحته...

مجدي بسعادة و هو يعتدل بجانبها : يا رحمة أنا بكرة باذن الله هروح اوثق ورقة جوازنا و أعملي حسابك اسبوع بالكتير و هاخدك البلد حدانا

رحمة مقاطعة بصدمة : هتاخدني البلد ليه

مجدي بسعادة : هتقابلي أميـــ

رحمة مقاطعة : طب و مراتك

مجدي : مالها..

رحمة : مش هتزعل..

مجدي بجدية و هو يعبث بشاربه : ملكيش صالح انتِ...

رحمة برجاء : طب بلاش و النبي الموضوع ده و خلينا كده...

مجدي مستنكراً بغصب : و ولدي يتربى بعيد عن اهله

رحمة بابتسامة حانية : لما ربنا ينتعني بالسلامة... خد ابنك عند اهله زي ما انت عاوز ان شالله ما تجبهوش ليه إلا زيارات... انا عارفه اني مش

هكون احن عليه و لا هعرف مصلحته قدك...

مجدي بتعجب : هتبعتي ابنك عند ضرتك

ألقت رحمة بنفسها على مجدي و لفت ذراعها عليه و قالت بابتسامة : أنا باعتاه عند أهله...

و قبل ان ينطق مجدي... ابعدت رحمة نفسه عن حضنه و أضافت بمرح

رحمة : طب لو طلعت بنت هتعمل ايه

مجدي بجدية و هو يعبث بشاربه : لأ أنا عاوز واد و بعدين ابقى هاتي البنات..

خفق قلب رحمة من رد مجدي لكنها تداركت نفسها و القت بنفسها ثانية عليه و قالت و هي تحاول

التماسك

رحمة : حاضر يا حاج مجدي واد... هجيب واد

اتسعت الابتسامة على وجه مجدي و لف ذراعه حول رحمة يضمها اليه و هو يردد بتلقائية

مجدي بسعادة : هيبقى لي واد

جلست في الساحة تراقب ببصرها المارين أمامها و تتابع الاحاديث التي تلتقطها اسماعها...يبدو عليها الهدوء... تتنهد من آن لاخر و تنقل بصرها هنا و هناك...كان يبدو عليها الراحة و الطمأنينة... لم تعد تفكر في شيء... مستسلمة تماماً لحالها... لم تعد تتذكر شيء عن حياتها قبل ان تأتي هنا... مرت شهور الآن و لم يأتي احد يزورها كباقي قريناتها...

لاتشعر بشئ حيال ذلك.... و كأنها ليست فقط متوقعة ذلك بل هذا ما تريده بالفعل...حتى أنها لا تريد ان تُكمل تعليمها كما أشارت عليها المشرفة... تهربت منها و ادعت أنها لا تحب التعليم.... فضلت تعلم حرفة الخياطة.... لا تدري كيف تمر الايام لكنها تمضي كمرور السحاب بدون ان تشعر و لا تريدها ان تمر... تتعجب قريناتها في العنبر حين تخبرهم انها لا تريد ان تخرج ابداً من هنا...
يتعجبن كيف تحب ان تبقى تحت تحكم المشرفات و قوانينهم القاسية... كل شي بمواعيد النوم بميعاد و التلفاز بميعاد و اللــهوبميعاد و حتى انهن مُجبرات على تعلم حِرف بذاتها و اجادتها... يتعجبن من عدم تذمرها من مشاركة غرفتها مع 25 بنت اخرى... و استمتاعها بالوجبات التي تُقدم لهن و التي تفتقد للطعم أساساً ...لا يعرفوا شيئاً .... و ماذا ان كان هناك موعد للنوم على الاقل تنام قريرة العين... و التلفاز و هل عرفت التلفاز إلا هنا... و ماذا يضير ان تعلمت حِرفة على الأقل ستجد ما تفعله ان ضاق بها الحال بدلاً من ان تبيع جسدها كباقي الغجريات... و تلك الغرفة التي يتشارك فيها 25

بنت اخرى هي تعتبرها قصر و هي بالفعل كذلك مقارنة بالجُحر التي كانت تقطنه... على الأقل يمكنها تستعمل الحمام متى ارادت... و الطعام و هل ذاقت طعام غيره لتقارنه به و هل تأمّن لها يوماً ثلاث وجبات بل ولا حتى وجبة ... ليتها تبقى هنا... ليت الايام لا تمر... و عجباً لها الأن تمضي كخطف البصر و قد كانت تتوسل اليها ان تمر فتأبى إلا ان تثقلها و تجعلها تتألم... انتبهت على اصوات عراك و اذا بصوت يأتي من جنبها

الصوت ضاحكاً : البت دي لازم تاخد لها علقه من حد كل يومين... يخربيتها

التفتت نوسة و هي تضحك و قالت : هند بردك..

الصوت ضاحكاً : يخربيتها ده مفيش حته ف وشها لسه سليمة

نوسة ضاحكة و قد التفتت ثانية تتابع العِراك : مين اللي بيضربها المرة دي

الصوت ضاحكاً و هو يشير : و ربنا ما اعرف... شكلها حنان بس انا شايفة يسرية و سامعة صوت ندى... بصي هي شكلها حفلة و عاملين عليها عزومة..

علا صوت الفتاتان بالضحك و هم يتابعان الشجار و يُعلقان تعليقات مرحة عليه و ما لبث ان انضمت اخريات لهما و ظللن يتضاحكن و فجأة خفتت اصواتهن ثم احتبست حين رؤا المشرفات يهرعن امامهن ليفضوا الشجار... انفضت الفتيات واحدة تلو الاخرى و هن يتغامزن على مكان اخر يؤيهن حتى لا يطالهن اي عقاب... تسللن خلف دورات المياة كما اعتدن... افترشن الارض حول بعضهن و لازلن يتضاحكن... كانت نوسة تشاركهن في البدء ثم بدا عليها الوجوم... تذكرت أول تعارفها مع هند و كيف ارادت ان تتنمر عليها.. انتبهت ليد

تهزها فالتفتت نحوها..

نوسة بوجوم : ايه يا بت عاوزة إيه

الفتاة بمرح : سرحانه ف اية يا انوس

تنهدت نوسة ثم قالت و هي تنقل بصرها بين الفتيات : افتكرت اول مرة اتكلمت فيها مع البت هند دي

احدي الفتيات مقاطعة : هو انت تعرفيها..

مطت نوسة شفتيها باستنكار و اردفت قائلة : إلا أعرفها... دي كانت عاوزة تعملني مرمطونها..

شرعت نوسة تحكي ما دار بينها و بين هند و هي تنقل بصرها بين الفتيات اللاتي بدا عليهن الدهشة لما ترويه نوسة و ما تحمله هند من لؤم و خِسة و

ما ان انتهت حتى تعالت اصوات الفتيات و تداخلت مستنكرات فعلتها و متفقات على ان ما تعانيه الان ما هو إلا جزاء سوء نيتها... و شرعن يحكين قصص الفتيات في العنابر الاخرى يتناقلن أطراف الحديث في ود و نوسة مندمجة معهن.. حتى علا صوت الجرس مُعلناً عن انتهاء وقت التريض فنهضن بسرعة و هرعن بتسلل حتى لا تنتبه المشرفات الى ذلك المكان السري.... و نوسة وسطهن يتمازحن معها و تتمارح معهن بسعادة حقيقية لم تشعر بها يوماً و هي خلف تلك الاسوار و وسط اولئك الذين تنتمي اليهم و اولئك الذين لطالما تمنت ان يقبلوها بينهم...

في الظلام الدامس و وسط الصمت المطبق تسلل صوت أنين مكتوم و تأوه ضعيف قطعه صرخة كادت تتزلزلمنـِ ْ هـ ـِ ْ ا جدران الغرفة إنتفض مجدي واقفاً و عينه مفتوحه علـّئ. آخرها ناظراً لرحمة التي كانت تتلوى مـِ ْ ن الإلم و قد بدا بطنها منتفخ علـّئ. آخره و قبضتها مطبقة في غطاء السرير بقوة تكاد تمزقه..كانت تصرخ و تبكي و تضرب برأسها يميناً و يساراً و تنادي

عليه ...وقف لوهله مصدوماً ثم ما لبث أن أرتمي علي السرير مقتربمًنـِ ْ هـ ـِ ْ ا بخوف و قد بدا عليه كمن يشهد أهوال القيامة. ...حاول أن يمسح علـّـے راسها لكنها كانت تحركها بعنف مـِ ْ ن شدة الالم و صوت صراخها يكاد يفتك به....حاول أن يتماسك حين سكت صراخها هنية و شرعت تزفر أنفاسها بقوة و قال و لاً يزال الرعب مستعمراً ملامحه

مجدي مدعياً التماسك : أنت هتولدي و لا أيه

رحمة بغيظ و نفاذ صبر صارخة و هي توجه سهام نظراتها الغاضبة نحوه : أمال هتحوّل ...

قام مجدي مـِ ْ ن جانبها واقفاً و قد تغيرت ملامحه للغضب و صاح: رحمة ..

رحمة و قد عادت تتألم و تتلوى : إلحقني يا مجدي

أرتمى مجدي ثانيةً علـّـے. السرير بتلقائية و بخوف و مسح علـّـے. راسها بتوتر: طب أعمل أيه

رحمة باكية مـِ ْ ن التألم: هاتليـّـے أُمي

مجدي بإنفعال: و أُمك هتعمل لّـگ أيه ...

إنهارت رحمة و زاد بكائها فأضطرب مجدي و هرع خارجاً و لم تمضي دقائق حتى عاد و معه سيدة في مقتبل عمرها..كانت ترتدي إسدال و تغطي شعرها و إن فرت بعض خصلات منه بغير تعمهنـِ ْ هـ ـِ ْ ا ...هرعت نحو رحمة و حاولت تهدئتها

السيدة بحنو و قد أمسكت بيدها بقوة: طب إهدي بس ..هي الولادة الاولى كده ..

ثم ألتفتت نحو مجدي الذي بدا غائب عن الوعي و قد تعلق بصره ب رحمة التي خَفَت صوتها و لازال أنينها و بكاؤها علـّئ. حاله ..

السيدة : طب يا حاج مجدي روح هات دكتورة و انا هقعد معاها ....

ثم و هي تنقل بصرها بينه و بين رحمة فبدا عليها القلق و اضافت

السيدة بتوتر عجزت أن تُخفيه: بس بالعجلة ...

لم يرد مجدي و كأنه لم يسمع مما اضطر السيدة أن تُصيح بنفاذ صبر

السيدة: يا حاج مش هينفع حرام كدة الغلبانة هتموت ...

أنتفض مجدي لما أتى سيرة الموت علـّئ. مسامعه فألقي نظرة خاطفة علـّئ. السيدة و هرع مسرعاً و التفتت السيدة تحاول أن تُهدأ رحمة التي كانت تأن و تضغط علـّئ. شفتيها بقوة حتى تشققت و بدت بضع قطرات مـِـْن الدم علـّئ. سطحها ..تلفتت السيدة و كأنها تبحث عن شيء و حاولت تحرير كفيها مـِـْن بين يد رحمة و بالكاد استطاعت أن تفعل ثم نهضت مـِـْن مكانها و أتجهت نحو الدولاب و عبثت قليلاً ثم أخرجت منشفة و أعادت أغلاقه و عادت نحو رحمة تُجفف قطرات العرق علـّئجبينها و تمسح الدم مـِـْن شفتيها...مر وقت ليس بكثير و عاد مجدي مسرعاً و دلف الغرفة و عيناه علـّئ. موضع رحمة ..و ما لبثت أن لحقت به أمرأة خمسينية ...ممتلئة و قصيرة و ترتدي جلباب ريفي بسيط تتهادى في مشيتها رغم

محاولتها الإسراع...كان وجهها ممتلئ و مطموس الملامح لكنه بدا أسمر و فِيَه لمحة طيبة ...كانت تعرف طريقها تماماً .كانت تُتمتم بالصلاة علـّئ. النبي و البسملة و الدعاء بالبركة و هي تلتقط أنفاسها لاهثة ..جلست علـّئ. حافة السرير بهدوء و لا تزال تُتمتم...نظرت للسيدة التي كانت تجلس ع الحافة الأخرى للسرير و عليها علامات الدهشة و الاستنكار و اشارت بيدها

المرأة: معلشي يا معسلة ناوليني الكوفرته اللي تحتك دي ..

نظرت السيدة نحو مجدي بتعجب و قالت: ايه يا حاج مجدي فين الدكتورة ..

كان مجدي واقف متيبس عند مدخل الغرفة و عينه تتطلع بشغف و تأهب نحو رحمة ..لم يرد عليها و جاءها الرد مِـِْ ن المرأة بصوت ضاحك ...

المرأة ضاحكة: خلصي يا معسلة ناوليني الكوفرتة و سيبي الحاج مجدي ف حالة ..

نهصت السيدة بحرج مِـ ْن مكانها لتُحرر الكوفرتة مِـ ْن تحتها و ناولتها للسيدة التي بمهارة شديدة القتها علـّئ. رحمة التي كانت تبكي بصمت و تأن بتألم و هي تضغط على أسنانها و تُحكم قبضتها في ملاءة السرير ..فجأة ظهر صوت مجدي و هو يهرع للخارج ..بفزع ..

مجدي: طب انا بره بقه يا أم حسين و أنت خدي باللكمنِـ ْ هـ ـِ ْا ...

ضحكت السيدة و التفتت نحوه بتلقائية و هي تشير بيدها: طب أملى حلة ميه و حطها علـّئ. البوتجاز و هاتها ليـّئ لما تسخن ..

لم يلتفت مجدي فخشيت أم حسين ألا يكون قد انتبه لـِهآ فنظرت للجارة التي بدا عليها التألم و هي تتطلع نحو رحمة و قالت و لا يزال صوتها ضاحك

أم حسين : متخافيش كدة ...هي دايماً البكرية صعبة ...

ألتفتت الجارة و حاولت رسم ابتسامة باهتة علي وجهها فعاجلتها القابلة أم حسين قائلة

أم حسين: روحي شوفي الحاج مجدي حط المية و لاّ أيه و أبقي هاتيها لما تسخن ..

الجارة بتلعثم: طب و الغلبانة دي

المرأة مقهقهه و هي تباشر تهيئة رحمة: يوه و هو أنا جاية اتغدي عندهم و لاّ جاية أولدها..

الجارة بغير ارتياح مغادرة: طيب

كان مجدي قد افترش الأرض بالخارج ممداً رجله و متكأً بإحدى ذراعيه علـّئ. احد المقاعد و يده الأخري بيها سيجاره و قد ثنى إحدي رجليه و مدد الأخرى امامه كان يسحب أنفاسه مِـْ ن السيجارة بغير وعي و أمامة منفضة السجائر و قد أمتلأت علـّئ. آخرها.مرت الجارة مِـْ ن أمامه و بين يديها حلة الماء الساخن فإنتفض واقفاً يُشيعها حتى باب الغرفة فدخلت و اقترب هو أكثر بحذر ليسترق نظرة خاطفة هرع بعدها مبتعداً و صوت القابلة يعلوا صائحاً

القابلة : هانت يا رحمة..هه ..خلاص... يا صلاة النبي مُحمد..

رحمة تصرخ: بموت يا مجدي ألحقني ..

تلجم مجدي و التفت عائداً و لكنه ما لبث أن ابتعد ثانيةً ...و إذا به يسمع بكاء الصغير فإنفرجت أساريره و أسرع مرة أخرى بغير وعي و دلف الغرفة و القى نفسه علـّئے. رحمة و ضمها بحضنه بقوة و هو يبكي غير منتبه لضحكات القابلة و دموع الجارة التي وقفت بعيداً متأثرة بالمشهد ...انهت القابلة مهمتها و مجدي يحتضن وجه رحمة يدفنه في صدره و قد خارت قواها فكانت مستسلمة نهضت القابلة مِـ ْ ن علـّئے. الفراش بصعوبة و في يدها الرضيع و قالت بسعادة

القابلة: ألف ألف مبروك يا حاج مجدي ...مش قلت لّـگ انه ولد..عشان تبقى تصدق ام حسين ...

أنتبه مجدي للصوت فرفع وجهه عن رحمة و تمالك نفسه لكنه لم يستطع أن يخفي السعادة الطاغية علي ملامحه و قام واقفاً و هي يتطلع للصغير بين يدي المرأة ..مد يده نحوها فناولته إياه و هي تُشيعه بالبسملة و الصلاة علـّئے. النبي..

القابلة بسعادة: انا عاوزة الحلاوة بقه..

نظر مجدي للقابلة و علا صوت ضحكاته و قال

مجدي ضاحكاً : لأ حلاوة أيه بقه ده إنتي تستاهلي محل حلاواني

مد مجدي يده في جلبابه و أخرج محفظة جلدية سميكة و منتفخة و فتحها و أخرجهنِ ْ هـ ِّ ْ ا خمس ورقات فئة مئتين جنية فمدت القابلة يدها بسرعة و أنطلق لسانها يزغرط. بسعادة و هي تنطلق للخارج...ألتفت مجدي نحو رحمة فوجد ملامحها قد لانت و وجد الجارة تمسح بالمنشفة قطرات العرق بحنو .إقترب مجدي مهـِ ْ ن الفراش و وضع الصغير في حضن رحمة التي فتحت عينها ببطأ و اضاآت البسمة.

مُحياها شبعرت الجارة بالحرج فقامت مهـِ ْ ن مكانها و أنسحبت بهدوء و ما كادت تعبر الباب حتى وجدت صوت مجدي ..

مجدي بإمتنان: تعبناكِ معانا يا ستنا ..

الجارة بود: و لاً تعب و لاً حاجة ربنا يبارك لكم فِيَه و تخاووه...

لم يرد مجدي و كان قد التفت نحو رحمة ينظر لـِهآ بحب و سعادة فشعرت الجارة بالحرج و انسحبت.

.....

في إحدى قاعات المحاكم ....إمتلأت المكان بوجوه مطحونة و عبأه رائحة البؤس و عجت الأصوات حولها ....أما هي فكما أعتادت وقفت في صمت تنقل بصرها هنا و هناك تتفحص الوجوه و تنسج لنفسها حكاية تتشاغل بها عن التفكير فيما سيحدث لها ....حتى ساد الصمت فجأة و جلس الجميع و عيونهم قد تعلقت بالمنصة ....كان ثلاثة قضاة قد تبوءوا مقاعدهم في إجلال و بدؤوا ينقلوا بصرهم في القاعة ليستبينوا حالها قبل أن يعلوا صوت أوسطهم معلناً بدأ الجلسة ... كانت قد ألصقت وجهها بالقفص و شبكت أصابعها بقوة في ثقوب القفص ...كانت عيناها مفتوحتان علـّئ. اخرهما و قد فرغت فاهها و تيبس جسدها حتى بدت كتمثال منصوب....و رغم ذلك حين نودي علـّئ. إسمها

لم تسمع و لم ترد حتى نبهتها إحدى وفيقات القفص ...

رفيقتها و هي تلكزها: قولي موجودة

نطقت نوسة بغير وعي: موجودة ..

القاضي بصوت عالي: إنت صفيتي عين زميلك في المدرسة يا نوسة ..

نوسة بصوت خافت: ايوه

القاضي: علي صوتك

نوسة بعد أن ابتلعت ريقها: أيوة

قالت كلمتها و عادت لتغيب عن الوعي و ان ظلت تنظر و تستمع بإنصات لما يدور حولها لَـكِنهَ ـ
( ) ــاآ لم تفقه شيء مما يقال حتى نبهتها رفيقتها ثانية لتسمع الحكم الذي سينطق به القاضي ..

القاضي: و بالنظر لأوراق القضية و ظروفها .....

غابت نوسة ثانية عن الوعي ...نرى و تسمع لكنها لاً تفهم و كأنهم يستخدمون لغة لاً تتحدث بها حتى إخترقتها العبارة ..

القاضي: بالسجن عامان ..

لم تتمالك نوسة نفسها و صرخت ..

نوسة بإنهيار و هي تصرب برأسها بقوة في القفص حتى ادمت جبينها بعد ضربات قليلة فقط :
حرام ..ظلم ...حرام ..ظلم ..

تجمعت رفيقاتها حولها ليهدؤها حين غابت عن الوعي..لاً تدري كم مضى مـِ ْ ن الوقت...فتحت عينها لتجد نفسها جالسة علـّئ. أحد المقاعد أمام قاعة المحكمة و قد أسند رأسها للحائط و إصطدمت نظراتها بعين صديقتها يسرية واحدة مـِ ْ ن نزيلات الإصلاحية التي كانت تنظر إليها بخوف و قد وقفت أمامها تحاول ان تُعيد إليها وعيها بعدما نُقلت بغير إكتراث لتُلقى خارج القاعة حتى لاً تُعطل سير الجلسة و لولا حمل يُسرية لـِهآ علـّئ. كتفها بتلقائية لما أستطاعت أن تخرج معها..

فلما رأتها قد عاد إليها وعيها زفرت بإرتياح و ضحكت بمرح قائلة

يسرية بمرح: ينيلك رعبتيني..

كانت نوسة لاتزال غائبة عن الوعي رغم أنها قد فتحت عيناها.فلم ترد فلم يكن مـِـْن يسرية إلا أن جلست بجانبها و مسحت على ظهرهارو ظلت تُربت عليه فإذا بنوسة تنهار باكية فجذبتها يسرية لحضنها و ظلت تربت عليها لتُهدئها و هي تقول

يسرية بتأثر: يا نوسة السنين بتعدي هوا ...و بعدين يا ستي السنتين دول كنتِ هتعملي بيهم ايه بره ..

أبعدت نوسة نفسها عن حضنها و قالت بغير وعي : كان المفروض يعدموني ..

أنصدمت يسرية مـِـْن كَلَمَـــاتِ نوسة ...ظنت لوهلة انها تقصد أنها تتمنى الموت عن السجن فقالت بتأثر

يسرية: بعد الشر يا بنتي تبقي مـِـْن بوقك و اللّـه السنتين دول هيعدو هوا ...

لم تكد يُسرية تُكمل كلمتها حتى إنتفضت نوسة مِـنْ مقعدها و لطمت خديها بهستريا و هي تصرخ ...كان المفروض أتعدم ده ظلم ..أسرع العسكري الذي كان يقف علـّئے. مقربة منهما و قد تشاغل عنهما بأحاديث جانبية مع زميل لّـهٍ...أسرع ليمسك بيدي نوسة ليقيد حركتها و قامت يُسرية بهلع واقفة و تلفتت حولها تنادي ان يأتو بماء ..لم يُعيرها أحد إهتمامه ..لم يكن المكان خاليـمِنْ البشر ..كان مكتظاً علـّئے. آخره و كانوا يتابعون ما يجري بفضول غير عابئ لَـكِنْ نوسة فجأة هدات ثانية و أرخت يديها و جسدها فشعر العسكري بذلك فأجلسها ثانية علـّئے. المقعد ...و ألتفت لزميلة و أشار بيده ليحضر لّـهٍ كوب ماء ..مرت دقيقة حين أتى الماء..مد العسكري يده بالماء لنوسة و قد بدا مُشفقاً عليها لكنها كانت قد غابت ثانيةً عن الوعي و لَـكِنْ بعينين مفتوحتين فاغرة فاهِها تنظر أمامها عيناها تجود بالدموع بسخاء و كأنه نهراً قد وجد لنفسه مجرى فحطم السدود و جرى ....تناولت يُسرية كوب الماء و خرت علـّئے. ركبتيها أمام نوسة و مدت يدها عبثاً تحاول أن تمسح الدموع

عن وجهها و بللت يدها مِـ ْن كوب الماء و بدأت تمسح وجه نوسة بحنو ....رفعت نوسة عينها فجأة لتنظر في عين يُسرية و تقول ببؤس و يأس

نوسة بغير وعي : أعمل أيه بسنتين ...مستكترين عليه المؤبد كانو أدوني إعدام ..

أرجعت يسرية رأسها بعيداً و.قد تملكتها الصدمة مِـ ْن كَلَّمَـ ـاتِـ نوسة و قامت واقفة لتجلس بجانبها و تقرب وجههلنِـ ْ هـ ـِ ْا و هي تنظر لـِهآ ببتفحص تستبين قصدها ...

يسرية : إنت جات لّـگ لوثة يا نوسة ...أنهبلتي عشان أنطستي سنتين

ألتفتت نوسة صوبها فتلاقت نظراتهما و قالت و قد عاد لـِهآ هدوئها

نوسة بحزن: أنا كان نفسي أخد مؤبد يا يسرية ....سنتين بس ...سنتين بس كمان هنام فيهم علـّئ. سرير و أضمن ليـّئ لقمة و هدمة و متوى يلمني ...بعد الشقا اللي أنا شفته ده گّلّـه. و

مستكترين عليه المؤبد ...طب كانو عدموني ...أخرج اعمل أيه ....

ثم نكست رأسها و القت ببصرها للأرض و أردفت ببؤس

نوسة ببؤس: أنا بقالي 3سنين في الإصلاحية محدش سال عني ..ده غير اني أصلا اللي جابني هنا أخويا و مرات أبويا ...

لم تتمالك يسرية نفسها فقاطعت نوسة قائلة: إنتِ لْـگ أخ ...هو اللي خرم عين الواد و ...

نوسة مقاطعة و لاْ تزال علـّئے. حالتها: أنا اللي خرمت عينه بس روحت استخبى عند ابويا ...هو غني و عنده بيت ببوابة و جنينة ...أخويا و مرات أبويا بلغوا عني.و لما جيت هنا محدش مهـِـْ ن أهل أمي زارني...انا مكنليش حد ف الدنيا غير ستي أم أمي و ماتت مهـِـْ ن زمان ..

ثم ألتفتت ثانية نحو يسرية و أردفت: قولي ليـّئے بقه أخرج ليه ..علـّئے. الأقل بلاقي ونس بدل ما أبقي زي الكلب الجربان كده

بدا علـّئ. يسرية التأثر لكنها ما لبثت أن رسمت علـّئ. وجهها ملامح الحماسة و أبتسمت لنوسة و قالت

يسرية بحماسة: لاً هتطلعي عشان تاخدي حقك مِـْن اللي عمل فيكي كده ...

لم تكد تُكد تُكمل جُملتها حتى وجدت نوسة تنهض واقفة لم تكن بإرادتها فقد جذبتها يد العسكري و هو يقول ..

العسكري و هو يُحرك نوسة لتمشي: يلا عربية الترحيلات جات

أنتفضت يسرية واقفة و قالت بلهفة و هي تتبع نوسة : أنا أخدت براءة و هيتفرج عني..بُصي انا هاجي أزورك ف السجن متخافيش ...

إستسلمت نوسة ليد العسكري و دفعه لـِهآ لتتحرك حتى انها لم تعبأ بكلمات يُسرية ..كانت قد نكست رأسها و مشت كالمُخدرة أو مِـْن أُلقي عليها تعويذة أفقدتها إرادتها فباتت مُسيرة .....

.....

كان الصخب يعم المكان ..أصوات صدُراخ و عراك ...أربع أطفال ...ثلاث ذكور و فتاة ...تتعارك الفتاة مع اخيها فيما يُصيح الآخران بالبكاء..خرجت رحمة بهلعمِـ ْ ن المطبخ علـّئ. الصوت و في إحدى يديها ملعقة ..كانت الفتاة تُمسك بتلابيب أخيها و قد أسقطته ارضاً و تحاول أن تفتح يده لتأخذ منه شيء ...

رحمة بنفاذ صبر صارخة: بس أنتِ و هو مش عاوزة أسمع نفس ..

لم تكد تُكمل كلمتها حتى أتي صوت مِـ ْ ن خلفها ألجمها ....

الصوت : بتزعقي ليه ..

التفتت رحمة و رسمت علـّئ. وجهها ابتسامة و قالت: بسكت البقر دول ...يعني عجبك عمايلهم دي يا أم أحمد ...

كانت صاحبة الصوت هي زوجة الحاج مجدي الاولى ضدُرتها الحاجة أم أحمد التي تعلقت بأبناء

رحمة منذ وقعت عينها علـّئ. شحتة
الصغير .....كان مجدي قد أخذ رحمة بعدما
وضعت طفلها الأول ليُقدمها لعائلته
الكبيرة ....وقفت رحمة. و بين يديها الرضيع وراء
مجدي الذي كان قد اخبر زوجته أم أحمد سابقاً أنه
قد تزوج و أنجب و انه سيأتي بها لتكون
تٌ ◌َ حَـتْ قدميها .....أخذ مجدي الرضيع و
وضعه في حِ جر أم أحمد التي لم تتمالك نفسها فقبلته
و أحتضنته و زغرطت لتُعلن بغير كَلَّمَـــاتِـ قبولها
للأمر الواقع ...كان ذلك قبل 5سنوات .و مِـ◌ْ ن
يومها و هي لاً تُطيق أن تبتعد عن شحته ...فلم
يستطع الحاج مجدي أن يكسر خاطرها فأخذها معه
لتسكن مع رحمة في الشقة و لم تعترض رحمة و
لـْ ـوّ حتى بينها و بين نفسها .فهي لم ترى مِـ◌ْ ن
المرأة سوى الخير و منذ أتت لتسكن معها و هي لاً
تشعر بوجودها و لاً حتى تسمح لرحمة بخدمتها بل
إن رحمة تتلهف لتخدمها في أي فرصة فيكفي أنها
تعامل صغارها أحسن معاملة و توالي رعايتهم
بحب و تُدللهم ...و لم تجد رحمة أي بادرة لتثبت
تقديرها لأم أحمد إلا أن تُسمي تاني مولودة لـِهآ

علـّئے. إسمها فحطم ذلك جبل الثلج الذي نصبته أم أحمد بينها و بين رحمة و لانت لـِهآ و تباسطت معها ..يل و كانت أحياناً تعاتب مجدي إن قسى عليها ....

جلست أم أحمد علـّئے. الأريكة و مدت يدها لتحمل طفل عمره عامان مـِـ ْ ن علـّئے. الأرض و تضعه في حجرها و تهزه لتُسكت بُكاؤه فما كان مـِـ ْ ن الصغير الأخر ذو الثلاثأعوام إلا أن قام مـِـ ْ ن علـّئے. الأرض ليجلس بجانب أم أحمد و يضع رأسه علـّئے. فخذها ...و لم يتبقى سوى أم احمد تعلو شحته الملقي علي الارض ....تحركت رحمة لتجذب الصغيرة بعيدا عن أخيها بعنف فعاتبتها أم احمد بلوم

أم احمد: حاسبي يا رحمة هتخلعي كتفها يا بنتي

زفرت رحمة بنفاذ صبر و القت نفسها علـّئے. احدى المقاعد بحرص و هي تتحسس بطنها الناتئ ..

رحمة بغضب. :زهقتمنـِ ْ هـ ـِ ْ ا طول النهار بتضرب ف اخوتها تقوليش دكر

أم أحمد ضاحكة: إحنا كدة بنات عيلتنا رجاله

ضحكت رحمة و هي تتأوه و تتحسس بطنها : يعني محدش بيقوي البت دي غيرك ...

إنتبهت أم أحمد لحالة رحمة فتغير وجهها و قالت و قد تعلق بصرها ببطن رحمة

أم احمد بقلق: انتِ مالك ..

ضحكت رحمة و علا صوت ضحكتها و قالت بمرح:يا أم احمد قِلّبُكً ♥ رهيف ..أنا ببقي بولد و أنت اللي بتصرخي لما جننا الحاج مجدي ...

ضحكت أم احمد بشدة و قالت: أنتِ هتفضلي مسكاها ليـّئ أنت و مجدي يعني ..

رحمة و هي تقوم بتمهل مِـ ْ ن علي الكرسي:
أعملي حسابك أخر شهر تروحي البلد ...انا و ربنا مش ناقصة توتر ..

قالتها رحمة بعفوية لكنها إستدركت نفسها حين وجدت وجه ضرتها قد تغير فإستطردت: خدي البقر دول حطيهم ف الزريبة هناك علـّئ. ما أجيب العجل الصغنن و تيجي تستلميه هو كمان ...

عادت البسمة لوجة ام احمد و ضحكت و قالت :
بطلي تقولي عليهم بقر مش هحوش مجدي عنك المرة دي و ربنا لْـوّ سمعك انَـَت عارفة هيعمل ايه..

جاء صوت سُعال مجدي ليقطع حديثهم ثم قال بصوت رخيم و هو يخلع عبائته و.يجلس علي إحدى المقاعد

مجدي بوقار: هي بتقول ايه يا أم أحمد ..

توترت رحمة لرؤيتها الحاج مجدي فرغم مرور 5 سنوات علـّئ. زواجهم و انجابها أربع أطفال إلا انها لاتزال تهابه لم تكد تنطق حتي جاء صوت أم أحمد

أم احمد : بتقول ولادتها قربت عاوزاني ادعي لـِهآ

مجدي ضاحكاً : لأ ده أحنا اللي المفروض ندعي لْـگ أنت

ضحكت ام احمد و هي تقول. : يووه يا مجدي هتفضل ماسكهالي ...

.....

أطبقت عينيها بقوة ...تتمنى ألا ينتهي الليل .....هذه آخر ليلة لـهآ في السجن ..لاْ تدري كيف تمر السنين كلمح البصر حين نريدها ان تتمهل علينا..و لحظات نقضيها كأنها دهراً ...لاْ يتخيل أحد ابداً أن يشعر الانسان بحريته خلف القضبان ...حيث كل شيء بالأمر و بميعاد و حصة. و لاْ يوجد أي خصوصية لَـكِنْ نوسة تري الأمر مِـنْ زاوية أخري ..فخير مِـنْ الحرمان أن يكون الشي بقدر....و خيرمِـنْ الإنتهاك التقيد .....لاْ ترى نوسة الامور الا أبيض و.أسود و كل شيء مقارنة بحياتها السابقة هو جنة عدن و إن كان في زنزانة في غيابات السجون...

و كما توقعت مرت ساعات الليل كلمح البصر .حاولت تجاهله لَـكِنْ هيهات ...قامت بتثاقل مِـنْ فرشتها و جلست علّـئ. حافة السرير و نكّست راسها و وضعتها بين راحتي يديها ....مضى عليها وقتاً و هي علي حالتها حتى فُتح باب الزنزانة و وقفت السجانة تنادي أسماء و

تأمرهم أن يصطفوا امامها....كانت نوسة لوهلة تبدو غير منتبه لكنها قامت مِـ ْن مكانها و لازال وجهها للارض واقفة في الصف الذي تكون ....تحركت السجانة و أمرتهم أن يتبعوها ..مضى وقت لم تنتبه لَـهٍ نوسة و لم تشعر به حتى في حين كان كل مِـ ْن حولها يستثقل تلك اللحظات القليلة التي تفصلهم عن تنفس انسام الحرية. كانت هي كمن يُساق إلى الموت ..إنتهى كل شيء و بين غمضة عين و زفرة نفس وجدت نوسة نفسها في الشارع و في يدها شنطة. بلاستيكية قد وضعت فيها ما جادت به إحدى السجانات عليها و ما أعطته لـهآ قريناتها بالسجن نظير خدمتها لهم....سرى في جسدها قشعريرة و شعرت بأطرافها قد تجمدت و رجلها تيبست و لم تستطع أن تحملها فسقطت لكنها لم يُغشى عليها بل تهاوت علـّئ. الأرض...لتفترشها بإستسلام ...جلست بقارعة الطريق غير عابئة بشيء.لم يكن عصياناً لكنها لاْ تدري أين تذهب...لطالما حلمت باليوم الذي تُغادر فِيَه عزبة الغجر لكنها إكتشفت أن كل طُرقها ستؤدي إليه ..تحاملت علـّئ. نفسها و

قامت مـِـْن علـّئے. الأرض و قد خلت ملامحها مـِـْن أي شيء ...كان وجهها جامد و كأن الامر لاً يعنيها و كأن لاً شيء أصبح يهم ...ستعود أدراجها ..سترضى و تتسلم ميراثها...ميراث الغجر ..إلعُهر و الرُخص سيكون مبدأها ...و الفُجر شعارها....ستقتات بجسدها ...و سيكون طموحها أن توقع علـّئےإكبر عدد مـِـْن عقود الزواج ..هذه هي الحياة التي جُبلت عليها و لـِهآ و عليها أن ترضى فليس مفر مـِـْن المكتوب إلا إليه...كانت تمشي بخطوات هائمة لاً تدري في أي إتجاه تمضي و لاً أي طريق تسلك لَـكِنْ قناعتها الوحيدة كانت أنه كل الطرق مهما أختلفت لن تؤدي إلا إلى عزبة الغجر..و قد كان ...فقد قادتها قدماها إلى هناك ..وصلت لمشارف العزبة و قبل أن تدلفها تذكرت جدتها فتوقفت لوهلة و تلفتت كأنها تتذكر الطريق ثم غيرت وجهتها ....كان وجهها جامد و خطواتها بطيئة و ثابتة حتى وصلت
المقابر ...غالبتها الدموع فسقطت فأسرعت تمسحها عن خدها بقوة و تعتصر عيناها ...توقفت فجأة أمام شاهد إحدى المقابر و إفترشت الأرض

أمامه ..تربعت و ألقت في حِجرها الشنطة و ألقت
برأسها بين راحة يديها و جلست في صمت ..كانت
دموعها بين الحين و الأخر تسقط مِـنْ عيناها
لتسقط علـّئ. التراب و كأنها رسالة تبعثها لجدتها
تشكو لـِهآ ما فُعل بها بغير كَلَّمَـاتِـ ..مضى وقت
لم تشعر به و إذا بها فجأة ترفع رأسها و تمسك
بطرف جلبابها تمسح به وجهها و قامت واقفة و
ألتفتت بتلقائية لتولي الأدبار في صمت ....دقائق و
كانت قد عادت لمشارف العزبة لكنها لاحظت
وجود عربات مصفحة و سيارات شرطة و أناس
يهرعون و أصوات صراخ ..فتحت عيناها علـّئ.
اخرها بفضول أنساها ما كانت فِيَه ...تحركت وسط
الزحام تتخبط في مَـَنْ ـُذآ. و ذاك و عيناها
زائغة ...و ما إن وصلت للمساكن حتى وجدتها قد
صارت رُكام ...فوقفت في ذهول تنظر أمامها
للحطام بغير تصديق ...لاْ تدري أهذا حلم أن لا.
مِـنْ بين كل دعواتها قد أستجاب لتلك الدعوة و
هي أن تـِّـنْ صٌـِـنْ ـِـنْ بـِّـ. العزبة عاليها
سافلها ...الآن و بعد خمس سنوات و بعدما
أصبحت العزبة هي ملاذها الذي طالما هربت منه

و حين تُقرر أن تُسلم نفسها لٰـهٍ يرفضها كما رفضها الجميع ...و كأن قدرها أن تكون منبوذة ...نبذها أبوها يوم غادر أمها و نبذتها أمها يوم غادرتها و تخلت عنها جدتها بموتها و كذلك فعلت رحمة حين ألقت بها لأهل ابوها ثم جاء أخوها ليفعل ما كُتب عليها و ألقى بها في غياهب السجون ...لم تتمالك نفسها و هوت علـّئے. إحدى أكوام الركام و عيناها تنظر هنا و هناك نظرات زائغة و لازال عليها علامات الدهشة و الذهول ...وجدت إحدى السيدات تفترش الأرض و تصرخ عالياً فتابعتها عيناها ...

السيدة بصوت عالي: منكم لله يا بُعده ...يعني جايين ع الصفايح اللي متويانا ....البلد كلها مفيهاش حته عاوزة تنظف إلا هنا ....

كانت الدولة قد قررت إزالة المنطقة و إعمارها و ذلك بإخلاء ساكنيها علـّئے. قيد وعود لاً يعلم حقيقتها سوى اللّـہ ...و لم تجد المحافظة ميقات مناسب لتنفذ الإخلاء و تُزيل العزبة مِـ ْ ن علـّئے. الأرض لتصبح أثر بعد عين سوى الـَّيَوُ مً ِ ...لتجد نوسة نفسها ضائعة مرة ثانية أو لنقول

كعادتها ...ظلت نوسة علـّئے. وضعها جالسة علـّئے. الركام و تشاغلت بمتابعة ما يجري حولها ...كان سكان العزبة قد رفضوا الإخلاء فهدمت الجرافات العشش علـّئے. ما فيها ...إنهمك سكان العزبة في إستخراج أشياؤهم أو ما تبقى منِ ْ هِ ٌا مِ ْ نتٌ َ حَ تْ الحطام و بين الحين و الآخر تعلو أصوات شجار يتصارعون علـّئے. أشياء إستُخرجت و يدعي كل منهم أحقيته بها .....غابت الشمس و بدأ المكان يخلو شيئاً فشيء و نوسة مكانها تتشاغل بالمراقبة و كأنها لاً تريد أن تفكر في مصيرها الآن و تتهرب مِ ْ ن إتخاذ قرار بشأن ما ستفعله...لكنها فجأة أنتفضت واقفة و. إلتفتت خلفها حين شعرت بيد تتحسسها ....وجدت رجل يقف أمامها يبتسم إبتسامة صفراء فلم تشعر بنفسها إلا و هي تجري بسرعة و كأن أصابها مس و ظلت تجري و تجري و لم تتوقف حتى بعد أن إبتعدت عن العزبة حتى أنهكها التعب و بدأت سرعتها تخفت ف توقفت فجأة تلتقط أنفاسها و هي تلتفت بتلقائية لترى إن كانت قد إبتعدت بكفاية ... كانت أنفاسها المتلاحقة بالكاد تبلغ

رئتيها ثم تزفرها كانت تشهق كأنها تُنازع ...حتى هدأت و إذا بها بتلقائية تلتفت خلفها و بغضب و بصوت عالي أطلقت وابلـهِ ْ ن السباب البذيء....عادت بعدها لتتحرك بزهو و كأنها قد إنتقمت لنفسها و أخذت حقها ...كانت تتحرك بلاوعي و بلا وجهه بوجه مبتسم و مـِ ْ ن حين لآخر تلتفت و يعلو صوتها بالسُباب البذئ ثم تنظر أمامها و قد أتسعت إبتسامتها و زادت نشوتها غير عابئة بنظرات الناس لهآ فمـِ ْ ن يراها يحسبها مجنونة أو ممسوسة و لاً يدرون أنها فقط و لأول مرة تشعر أنها ليست ضعيفة ... كان عقلها قد أسكرته نشوة الإنتصار المزعوم و شطحت أفكارها تتخيلهَ ـ ( ) ـاآ و هي توجه مدافع لسانها بالسباب البذئ لكل مـِ ْ ن آذاها ...و فجأة توقفت و بدأت تعبث في محتويات الحقيبة التي بين يديها بعصبية ..ثم ألقت ما بداخلها علـّئ. الارض بهستريا ..كانت حقاً قد غادرها عقلها ....كانت تبحث عن شيء ..عادت البسمة لوجهها و هي تمسك ورقة صغيرة ....أطلقت قدميها ثانية و لم تهتم أن تُلملم حاجاتها مـِ ْ ن علـّئ. الأرض ...

كانت قد بلغت الطريق السريع ....فوقفت بدأت تشير للسيارات. بلاوعي.....فجأة توقفت سيارة أجرة أمامها فأنحنت عليها لتحدث السائق

نوسة و هي تناول السائق الورقة: أنا عاوزة أروح العنوان ده يا ريس

أمسك السائق الورقة و أشار لـِهآ ان تركب و أنطلق ...علقت نوسة عينيها بالنافذة و عقلها سارح في ملكوته ..مِـْن حين لآخر تلوح الأبتسامة علـّئ. وجهها ...كان السائق قد لاحظ ذلك في مرأة السيارة فشعر بالشفقة نحوها ظناً منه أنها مجنونة ...فجأة توقفت السيارة و التفت السائق لنوسة يخبرها أنهم قد وصلوا ....

فتحت نوسة باب السيارة و هي تضحك و لم تُغلق الباب و إذا بها ترفع جلبابها لتضع طرفه بين أسنانها ليظهر بنطال واسع تحته و هرعت تجري بعيداً و كأنها تُسابق الريح ..وقف السائق مذهولاً مِـْن فعلتها و ضرب كفاً بكف و هو يحرك رأسه و أغلق باب السيارة التي تركته نوسة ثم ركب هو و إنطلق مبتعداً ....كانت نوسة قد إبتعدت مسافة

ليست ببعيدة فتوقفت تلتقط أنفاسها و هي تضحك ثم أطلقت مدافع السباب ثانية فزادت نشوتها و حماستها و مضت تستدل علـّئ. العنوان الذي تقصده ....توقفت أمام كوافير حريمي ....دفعت الباب و دخلت ...كان الجميع منهمك و هي تتطلع في الوجوه تبحث عن ضالتها فإذا بصوت ينادي بإسمها...إلتفتت نحوه فوجدت يُسرية رفيقتها في الإصلاحية التي ما أخلت بوعدها معها و زارتها أكثر مـِـْن مرة بالسجن و إستحلفتها أن تمر عليها حين تخرج ...جذبتها يسرية لحضنها فتجاوبت نوسة معها بسعادة ثم أخذتها مـِـْن يدها و خرجت مـِـْن المكان جلست علـّئ. عتبة المحل و أجلست نوسة بجانبها و قالت بسعادة

يسرية: كفّارة يا أنوس ألف مبروك

نوسة ضاحكة: ياختي أنا المفروض يعزوني مش يباركوا ليـّئ

يسرية ضاحكة: ينيلك إنت لسه برضه عشمانه في المؤبد

نوسة ضاحكة: مش فارقة بقه

يسرية و قد بدا عليها الجدية: اسمعي يا بت ...انا روحت لخالتك زي ما إتفقنا ...انا بس مفضتشي أجي لّـگ سامحيني ...

نوسة مقاطعة: ولا فارق معايا

يسرية بعصبية: هو ايه اللي مش فارق معاكي ...الكلام ده يا حلوة قبل ما خالتك تُشفط مِنـّي 500جنية تمن العنوان و الإسم ..

نوسة بتلعثم: هردهم لّـگ يا يسرية بس أصبري عليه ..

يسرية بندم: يابت مش بقولك عاوزاهم دلوقتي و يا ستي مش عاوزاهم خالص بس احنا معانا العنوان و ده حقك ...علـّئ.الأقل يا ستي لـْـوّ ما أدوكيش كل حقك أهو يدوكي قرشين حلوين ...

ثم أكملت بحماسة: و نعمل أنا وأنت كوافير حلو و نشتغل و نجيب اللي نفسنا فِيَه ..

كانت نوسة تنظر ليسرية و تستمع لـِهآ و هي تُمني نفسها بتلك الحياة التي باتت مرهونة بإشارة منـِ ْ هـ ـِّ ْ ا.

نوسة مقاطعة بجدية: موافقة

لم تصدق يسرية نفسها ....قضت سنة ونصف تقنعها بأن تعطيها عنوان خالتها لتأتي بالمعلومات عن أباها ....فلم تتخيل أن تقتنع بتلك السرعة أن تنفذ خطتها ...فلم تتمالك نفسها و جذبتها لحضنها بسعادة فتجاوبت نوسة معها و ربطت ذراعها حولها بحميمية ...مرت دقائق و أبعدت يسرية نوسة عن حضنها و همت واقفة و جذبت نوسة لتقف هي الآخرى و قالت بحماسة

يسرية بحماسة: طب يلا

نوسة بدهشة: يلا أيه

يسرية ضاحكة: نلحق نروح

نوسة: أنت أتهبلتي نروح فين إحنا داخلين ع العِشا ...

يسرية ضاحكة: يا بت أنسي جو السجن و الاصلاحية الناس بتفضل صاحية للفجر ...و بعدين إنت وراكي أيه

نوسة بتلعثم: مش فكرة ورايا

يسرية مقاطعة و هي تدفعهَ ـ ( ) ـاآ لتتحرك: طب خلصينا بقه

نوسة بإستسلام و هي تتحرك: طيب مش فارقه

يسرية بغيظ و هي تضرب نوسة علـّئے. رأسها: بطلي تقولي مش فارقه...لأ فارقه و هتفرق كتير

.....

تزين دوّ ار الحاج شاهين بالأنوار و علا صوت الأغاني صادحاً و توالت الوفود لتُشارك بعُرس الدكتور خالد زينة شباب العائلة بل و القرية كلها ....كانت ترتيبات الزفاف تقتضي أن يُكتب الكتاب في القرية و يستمر الإحتفال و المأدبة حتى الصباح لَـگِنْ العريس و عروسه و كبار العائلة سيُنقلون لإحدى القاعات الفخمة ليحتفلوا كما أشترطت العروس نهى ...نهى فتاة المدينة أبنة عائلة شاهين لَـگِنْ أبوها قد غادر القرية حين ألتحق بالسلك الجامعي ...هو أستاذ خالد و قدوته و طالما كان بين الأسرتين ود و زيارات متبادلة و لم يكن غريباً أن تُصر أم خالد علـّئے. نهى عروس لابنها حتى و ان لم يكن يحبها و لاْ هي حتى

تحبها . .حتى أنها قبل أن ترحل عن الدنيا منذ عام و نصف أوصت خالد أن يُتم الزواج منـِ ْ هـ ـِّ ْ ا ..ليُحافظ علـّئ. مكانته عند أبيها ...نهى فتاة هادئة ...باردة المشاعر ....منطوية حد الاكتئاب ...لاً تبتسم بسهولة و إن فعلت تشعر و كأنها تتكلفها ....لم توافق علـّئ. خالد و لم ترفض ...لم تتحمس للامر و لكنها جارته ....كان خالد يشعر بذلك لكنه لم يجرؤ أن يكون الرفض مـِ ْ ن طرفه ...تمنى ان ترفضه هي او أن تتراجع في أي لحظة ...لكنها لم تفعل ...حين طلبت أن يكون الزفاف في قاعة بعيدة عن القرية شعر أنها فرصته ليتشبث برأية لَـگِنْ والدها أتى بحل وسيط أن يكون الاحتفال في القرية و في القاعة كما اراد الطرفين و ضاعت آخر فرص خالد ليفلت مـِ ْ ن الزيحة ...وقف خالد أمام المرأة يعدل هيئته بوجوم ....فيما كان أبن خالته محمد. يجلس علـّئ. السرير يعبث بهاتفه ....كان يسترق النظرات لخالد مـِ ْ ن حين لآخر في صمت بدا و كأنه يتحمله بصعوبة و فجأة إنتفض محمد مـِ ْ ن مكانه و صاح

محمد بنفاذ صبر: يعني ايه هتتجوز لوح التلج دي خلاص

رمقه خالد بنظرة لاً مبالاه و تحرك ليجلس علـّئے. السرير و أمسك بهاتفه يعبث به ...

أستطرد محمد بعصبية: هو في ايه يا عم إنت هي ماسكة عليك ذله ...

لم يرد خالد فدفعه محمد في كتفه ليستحثه علـّئے. الكلام

خالد بنفاذ صبر: يا عم و لا ذلة و لاً زفت ...أهي جوازة و السلام

محمد بغضب: هو حشو بطن يابني ...آكله و هتاخد سكتها في المجاري ...ده جواز ..

خالد بعصبية و قد قام مـِـْن علـّئے. السرير: طب أعمل أيه ..جتى لـْـو كان المفروض يتعمل حاجة فات الاوان

كاد محمد أن يتحدث لكنه لم يجد ما يقوله فتنهد بإستسلام و هوى بجسده مرة أخرى علـّئے. السرير ...

نزلت يسرية مِـ ْن الميكروباص و لحقتها نوسة و تحركت يسرية بثقة و كأنها تعرف وجهتها ...و كأنها قد أتت مِـ ْن قبل ...تبعتها نوسة

بإستسلام كانا قد أقتربا مِـ ْن البيت حين إمتلأت أسماعهما بصوت الأغاني ....

نوسة: يظهر في فرح

التفتت يسرية نحوها و قالت ضاحكة: لأ دي التشريفة ...عرفوا إنك جاية قالو يعملو الواحب

أنفجرت نوسة في الضحك و دفعت يسرية بيدها بمرح ....

كانا قد بلغا بوابة البيت فوجداه قد تزين بالاضواء و علا فِيَه اصوات الأغاني و تزاحم الناس علـّئ. بلوغه ...إستوقفت يسرية أحد الرجال لتساله

يسريه: هو في فرح و لاْ أيه يا حاج

نظر إليِهآ الرجل و رد عليها دون أن يقف حتى: الدكتور خالد شاهين ليلته النهاردة ...

التفتت يسرية بتلقائية نحو نوسة التي كانت شاردة و قالت: يظهر ربنا هيسهلها يا بت يا نوسة و هنتراضى

نوسة بيأس: مسهلها ازاي ...هما هيبقوا فاضيين ليـّئ عشان يدوني حاجة و لاْ يعبروني

يسرية بنفاذ صبر: انتِ هتشلنيني ...هو انَت عاوزة تروحيلهم علـّئ. رواقه ...ده أحسن وقت تروحي فِيَه ده ربنا بيحبك ...

نوسة بعصبية: إنتِ أتهبلتي و ربنا ....أدخل قدام الناس أقولهم انا اختك و عاوزة حقي ف الميراث ...يقوموا يبلغوا عني البوليس و لاْ مستشفي المجانين و لاْ اقل حاجة أنطرد طردت الكلاب قدام الخلق دي كلها و تبقي فضيحة بجلاجل

يسرية بغيظ:بصدقي فعلاً كان لآزٍ مٍ تاخدي إعدام بسبب غباوتك و ربنا

زفرت نوسة بقوة و توقفت فجأة و عقدت ذراعيها علـّئ. صدرها بتذمر ...شعرت يسرية أنها قد ضايقتها فلانت لـٍهآ و قالت

يسرية.: يا متخلفة ...الناس لما تبقي كتير هيخافوا مِـنْ الفضيحة ...فهيعطوكي اللي إنت عاوزاه عشان تسكتي

نوسة : إنت ناسية إني مش معاية شهادة ميلاد تثبت اني بنتهم ...

سكتت يسرية فجأة وظلت تنقل بصرها بين البيت و نوسة حين إسترعاها توقف سيارة متزينة بالورود و الستان و هبوط العروسمنِـْ هـِـٖـْا ...إبتسمت يسرية بمكر و نظرت لنوسة التي بدت مستنكرة لابتسامتها. .و قالت ...

يسرية بمكر: مش بقولك ربنا هيراضينا النهاردة ...

زفرت نوسة بقوة لَـكِنْ يسرية أكملت قائلة ..

يسرية:إذا كان مش معاكي شهادة ميلاد مِـنْ بتاعة الحكومة ...هيبقي معاكي ورقة جواز عُرفي

بدت الصدمة علـّے. وجه نوسة جليه فقد فتحت فمها و عينها و رفعت حاجبيها فلم تتماسك يسرية نفسها و ضحكت و أكملت

يسرية : احنا هنكتب ورقة جواز عرفي بينك و بين العريس

نوسة مقاطعة بدهشة: أخويا

يسرية ضاحكة: هو انتِ هتتجوزيه بجد ده كده و كده ...هتتبلي عليه يعني

نوسة بعصبية متذمرة: انا مش هتجوز اخويا و حتى و لْـوّ كده و كده ...انا غجرية أه بس مش للدرجة دي ...

إنفجرت يسرية في الضحك مما اغضب نوسة فخطت خطوة بعيداً عنها فأمسكتها يسرية و تمالكت نفسها مِـنْ الضحك و قالت: يا بت ...هتدخلي تقولي انه متجوزك عُرفي و لْـوّ ما ادكيش فلوس دلوقتي هتفضحيه قدام نسايبه ...

كانت نوسه تستمع ليسرية و بدا عليها علامات الاقتناع فأرادت يسرية أن تحسم الأمر فأضافت

يسرية : الموضوع مش هياخد دقيقتين بالظبط ....و تاخدي القرشين و نرجع بقه نرتب لعيشة نضيفة و مرتاحة

نوسة بتفكر : طب أقول عاوزة فلوس كام

يسرية: يعني إعملي حساب الفصال ...يعني هتقولي 20ألف ...هيقولوا كتير قولي طب عشرة ....طب سبعة .بس أوعي يبقى أقل مِـ ْن كده يا بت ...

سكتت نوسة ثم عادت لتقول: طب نجيب ورقة منين دلوقتي ...

ضحكت يسرية و دفعت نوسه بكتفها بمرح و قالت: أهو كده الكلام الموزون ...أستني هنا ...

أسرعت يسرية مبتعدة عن نوسة في إتجاه الجانب الآخر مِـ ْن الطريق ...شيعتها نوسة بنظراتها حتى وجدتها دخلت أحد المحال علـّئ.

الطريق ...عادت نوسة تتطلع نحو البيت ...كانت العروس واقفة أمام المنزل تتلقي التهنئة و يؤخذ لـِهآ الصور مع فتيات في أبهي طلاّتهن ...تنهدت نوسة بحزن و هي تتابعهن حتى ظهر شاب ألفته عيناها ما أن رأته....علت دقات قلبها حتى كادت تُغطي علي أصوات الموسيقي....هو ...هو .... تستطيع أن تنساه و لاً تريد ....أخاها...كم هو وسيم

في ثوب العُرس....كم يليق به أن يكون
عريس ...كان يتموضع لإلتقاط الصور مع
العروس و الفتيات و شباب و رجال
آخرون .ليتها كانت واحدة مِـْ ن تلك
الفتيات ....لاً تريد مال و لاً ورث ...تريد أن تعيش
معه فقط ..تحتمي فِيَه ...تأوي إليه ...تتوكأ
عليه ...إنتبهت ليد تهزها فإنفزعت ...

نوسة بفزع: أيه خضتيني

يسرية ضاحكة و هي تُلوح لورقة بين يديها:
مبروك يا عروسة. ...

ضحكت نوسة بتلقائية و هي تلتقط الورقة و قالت :
يعني مش كان الاعدام أرحم مِـْ ن حوازي مِـْ ن
أخويا ...

يسرية ضاحكة: هو أرحم بس اللي موجود دلوقتي
الجوازة ربنا يقدرني و زي ما لبستك الأبيض
ألبسك الأحمر ...

إنفجرت نوسة في الضحك و شاركتها يسرية ...التي دفعتها بقوة ناحية البيت لتتحرك و تنجز مهمتها

يسرية ضاحكة.: خلصينا بقه روحي و هستناكي

نوسة و هي تتحرك : طب متزوقيش ربنا يعديها علـّئے. خير ...

تحركت نوسة بخوف و كانت تلتفت مـِـ ْ ن حين لاخر نحو يسرية التي كانت تشير لـِهآ بيدها لتتقدم .....تعالت الزغاريط و ألتقطت اذنها جملة أن المأذون قد جاء....وجدت خالد و هو يدلف للداخل بصحبة المأذون و وجدت نفسها بدون وعي تلحق به ....كان الناس كُثر و الضجيج عالي لكنها لم ترى و لاٌ تسمع سواه ...أخذ خالد المأذون و صعد السلالم و خلفه رجلان و هي تتبعه ...دخل مـِـ ْ ن باب الشقة لِلي غُرفة بجانبها تماماً ...توقفت و إسترقت نظرة للداخل وجدت خالد يجلس و بحانبه المأذون و علـّئے. الجهة الأخرى رجل فطنت أنه أبو العروسة ...كان في الغرفة بعض الشباب و الرجال ...وكان الصوت بالداخل عالي و

العدد يفوق إحتمال الغرفة ...إنتبهت لخالد و هو يُشير لأحد الشباب فاسرع نحوه و مال عليه ثم ما لبث يُفرغ الحجرة بهدوء حتى لم يبقى سوى 5 أفراد فقط ...خالد و المأذون و والد العروس و شابان ...كانت نوسة تشعر أنها قد رأت هذين الشابين مِـ ْن قبل ....شهقت بتلقائية ....و بدت مذعورة ...هو ...إحدى الشابان كان الضابط الذي ألقى بها في السجن ...تملكها الخوف لوهلة لكنها سرعان ما تمتمت بالسباب فكأنما هو أفيون الشجاعة الذي دفعها لتدفع الباب الذي كاد محمد يُغلقه لولا ظهورها فجأة أمامه ....كانت هيئتها مُزرية ...وجهها يملؤه التراب و آثار الدموع قد زادت الطين بلة فطمست ملامحها و لم يعد يُميز فيها سوى تلك العينين الزرقاوتين الواسعتين....أما ثيابها فحدّث و لاً حرج عن ثياب لاً ترتديها حتى المتسولة إلا في ساعات العمل الرسمية مما دفع محمد ليظن أنها قد ضلت الطريق و أشار لـِهآ لتخرج

محمد: انزلي يا ستتُ ـَ حَـتْ هيأكلوكي ..

لم تشعر نوسة بنفسها و كأنما تملكتها روح أخرى و تولت التحدث عنها و قالت

نوسة: أنا مش شحاته ...أنا مرات الدكتور ...

لم ينتبه أحد لكلمتها و حتى ان محمد دفعها برفق ليكمل إغلاق الباب مما اثار غيظها فدفعته بعيدا و دخلت لتقف أمام الماذون وتجبر الجميع علـّئے. النظر لـِهآ

نوسة و هي تنظر لخالد قبل ان يرفع عينه لـِهآ: ايه يا خالد سيبني و رايح تتجوز

رفع خالد عينه نحوها و تلاقت عينه بها ...وجم لوهلة ثم إتسعت إبتسامته فتوترت نوسة و لكنها حاولت التماسك ..

نوسة بإرتباك لم تستطع إخفاؤه : أيوة يا بيه ...عاوز تتجوز و تسبني ...

لم تتوقع نوسة رد فعل خالد الذي قام و أقترب منـِ ْ هـ ـِ ْ ا فتراجعت هي بتلقائية و وجدته يقول

خالد بإبتسامة واسعة: هو أنا أقدر أتجوز و أسيبك ...

أضطربت نوسة و أبتلعت ريقها و تراجعت لتبعد نفسها عن خالد الذي شعرت بأنفاسه الساخنه تُصهر ما تبقى مِـنْ جأشها ...و كادت تنطق حين علا صوت غاضب ...كان أبو العروسة

أبو العروسة صارخاً بغضب : هو في أيه يا خالد ايه المسخرة دي

خالد. بلامبالاة و لازال عينه متعلقة بعين نوسة: زي ما أنت شايف يا عمي ....خناقة زوجية ...

محمد ممسكًا بذراع خالد هو يحاول أن يُبعده. عن نوسة: هو في ايه يا خالد أنتِ أتهبلت ...زوجية اية

أنتفضت الشاب الأخر مِـنْ مكانه و أمسك بيد نوسة و جذبها بعنف و ألقاها بعيداً فوقعت علـّئ الأرض فأسرع خالد ممسكاً بتلابيبه و دفعه بغتةً بقوه ليسقط علـّئ الأرض و أسرع ليجذب نوسة لتقف و يُمسك بيدها و ينقل نظره بين الموجودين و قال بثبات و هو مبتسم: دي مراتي يا جماعة زي ما انتو شايفين ...ألجمت المفاجأة محمد فلم ينطق و غادر الضابط غاضباً بعدما رمق نوسة بنظرة

وعيد ...أما الماذون فكانما علـّئے. رأسه الطير ينقل نظره بين الموجودين ببلاهة ...

أبو العروسة و قد وقف مواجهاً لخالد و ينظر لنوسة: يا خالد مش عاوزين فضايح خلي الليلة تعدي علـّئے. خير ...لم يكد خالد ينطق حين وجد نوسة تُحرر يدها و تدفع يده و تقف بعيدا و تفتح محفظة مُهترئة تُخرج منـِ ْ هـِ ٌ ا ورقة و تلوّ ح بها قائلة بإرتباك

نوسة بتلعثم: ورقة الجواز أهي ...أدوني عشرين جنية و همشي ...

محمد بغضب : أنت عاوزة عشرين جنية تمن الورقة ...أنت جاية تبوظي جوازة بحق ساندوتشين حوواشي ..

أرتبكت نوسة أكثر و خصوصاً حين نظرت لخالد فوجدت أبتسامته قد إتسعت أكثر ....أبتلعت ريقها و قالت ..

نوسة بارتباك: انا قصدي 20الف بس إتلخبطت...و بعدين خلاص هاتو 7الاف و همشي ...

محمد بغضب: 7ألاف ايه انتِ مجنونة ...أنت أخرك تنزلي تتعشي و منشوفشي وشك تاني ...

نوسة بارتباك و هي تنظر لرد فعل خالد الذي لم يرفع بصره عنها: طب آخر كلام 5آلاف بقه و مش هينفع أقل مِـ ْ ن كده ...

محمد بنفاذ صبر: بصي أنتِ آخرك معايا أنزل أخليهم يحطولك طبقين حلوين و كام موزة و برتقانه و كانزايه و تاخديهم و تخفي ف ستين داهية ..

كانت عينها علـّئ. خالد الذي كان يتابع الحوار و وجهه ضاحك مما زاد إرتباكها وجدته يقترب منـِ ْ هـِ ْ ا فإستوقفه أبو العروس ممسكاً بذراعه و قال

أبو العروسة: يا خالد مينفعشي اللي أنت بتعمله ده...إحنا مش بنهزر ...دي فضيحة ...

ألتفت خالد نحوه و قال بثبات و قد فترت إبتسامته:
و انا مش عاوز فضايح يا عمي بس زي ما
شايف أنا علـّئ. ذمتي واحدة تانية و
مش ناوي أطلقها ...فلو حضرتك موافق أكتب علي
نهى هي كمان ...

ابو العروسة بغضب: أنا بنتي تبقى ضُرة ...أنت
فعلا إتجننت ...

خرج أبو العروسة غاضباً ...فصاح محمد في نوسة

محمد بغضب : إستريحتي كده ياختي

نوسة بارتباك و هي تبتلع ريقها و تنظر لخالد الذي
عاد لينظر لـِهآ و تعود الضحكة لوجهه و لاً يزال
يقتربمنـِ ْ هـ ـِ ْ ا: طب آخر كلام هاتو ال 500
جنية بتوع يُسرية و همشي ..

محمد صائحاً بغضب: يسرية مين دي كمان ...قولي.
كده بقه.إنتِ حد وزك علينا ...

كادت نوسة تنطق لكنها تلجمت حين وجدت خالد
يجذبها مـِ ْ ن يدها و يضغط عليها بقوة و ينظر

لمحمد و يقول ضاحكاً : طيب يا ميدو ...روح بقه مشي المعزيم و الناس و شطب الليلة ...

محمد بذهول: نـعمـ ـْ يا أخويا ...

خالد ضاحكاً و هو بضغط علـّئ. يد نوسة بقوة: زي ما اسمعت. يا حبيبي ...

محمد بصدمة: أنت جري لعقلك حاجة ..

خالد ضاحكاً : أيه يابني عاوز اصالح مراتي علـّئ. رواقه ..

محمد ببلاهه: مراتك ...

خالد ضاحكاً : هتنزل تفض الليلة و لاْ أفضها انا بطريقتي ...

اشار محمد بكلتا يديه بالنفي و أسرع للخارج ...كانت نوسة في حالة صدمة ...لاْ تشعر بشيء ..وقفت ساكنة تماماً لاْ تُصدق ما يحدث ....

سادت دقيقة صمت أو اقل قطعها الماذون الذي همّ خارجاً فإستوقفه خالد ليجلس .

خالد بجدية: أستنى يا شيخنا ...عاوزين نوثق العُرفي ده ...

أنتفضت نوسة حين سمعت الكلمة و نزعت يدها مِـْ ن يد خالد و ابتعدت عنه بذعر و صرخت

نوسة بفزع : توثق أيه ...

خالد بإبتسامة: الجواز يا مراتي ..مينفعشي نفضل متجوزين عُرفي كده ..

ثم إلتفت ناحية المأذون و قال: و لاّ أيه يا شيخنا

الماذون: الزواج الشرعي لضمان حقوق الزوجة

خالد و هو ينظر لنوسة و يبتسم: شفتي عشان حقوق الزوجة

نوسة بلاوعي: طب هات 500جنية بتوع يسرية

أنتبهت نوسة ليد خالد و هي تنتزع مِـْ ن بين يديها محفظتها و ورقة الزواج المزعومة و يتركها ليجلس بجانب المأذون ...فتح المحفظة و أخرج البطاقة و وضعها امام المأذون و هو يقول

خالد: يلا يا شيخنا جهز العقد ...

نوسة بفزع: بس انا مش عاوزة أتجوز

لم يتمالك خالد نفسه و إنفجر ضاحكاً و قال ملوحاً بورقة الزواج العُرقي: مش عاوزة تتجوزي ازاي و انتَ متجوزه ..

إرتبكت نوسة و تلعثمت و قالت: طب انا عاوزة أطلق.

خالد بإبتسامة ماكرة و هو يعتدل في جلسته و يضع رجل علـّئ رجل و يعقد ذراعيه امام صدره: طلاق ايه ...ده. حتى أبغض الحلال عند اللـّه.

الطلاق و لاْ ايه يا شيخنا

كان الشيخ منهمك في تسجيل البيانات و لكنه قال و لم يتوقف عن عمله: ليس هناك حلال يُبغضه اللـّه.

لكن التفريق بين المرء و زوجه هو عمل الشيطان ...

خالد بمكر: لأ شيطان ايه يا شيخنا ربنا يبعد عنا الشيطان ...

وقفت نوسه لاْ تُصدق ما يجري و كأنها في حلم ..لاْ تدري كيف ستصحو منه ...دلف محمد

الغرفة و عليه علامات الغضب و الاستياء .أنتفض خالد مـِـ ْ ن مكانه و جذب محمد للخارج ...

محمد بغضب و هو يُبعد نفسه عن خالد : عاوز ايه ...لما أنت مطبّخ الحكاية و هتفركش الجوازة مقلتليش ليه و بعدين كان لازمتها أيه الفضايح م...

خالد مقاطعاً بجدية: دي إحسان

محمد بإنفعالً : إحسان و لاْ إمتنان ..

خالد مقاطعاً و هو يضرب خد محمد برفق: بقولك إحسان ..

انتبه محمد و نظر لخالد الذي اومأ براسه و أضاف

خالد بجدية: إحسان بنت عمي ...

محمد بغير تصديق: إنت.مالك النهاردة فْيَگ ايه و لاْ متعاطي ايه

خالد: و اللّـهِ العظيم هي ...ماما اللّـهِ يرحمها قالت ليـّئ ان إحسان كانت بتقول إن إسمها نوسة محمد عبدالله و ده الاسم اللي مكتوب ف بطاقتها

محمد مقاطعاً : ما جايز تشابه أسماء ولا...

خالد مقاطعاً : مش تشابهه أسماء و لاْ غيرو ..انا اصلا عرفتها مِـْن أول ما شفتها بس كنت مستغرب هي بتعمل ايه و ماشيتها في اللي هي عاوزاه ...

محمد: طب و ناوي علـّئ. ايه

خالد ضاحكاً : هتجوزها ..

محمد بصدمة: تتجوز دي

خالد بغضب و هو يلكز محمد في كتفه: ما تلم نفسك يلا ..

محمد بحرج : مش قصدي ...بس إنت عارف إنها ...

خالد و هو يمسك تلابيبه بغضب: بقولك إحترم نفسك ..

محمد بخوف: أنا أسف مش قصدي ...

دفع خالد محمد ليبتعد عنه و رمقه بنظره غاضبه و إنصرف ليدخل الغرفة ثانيةً و لكنه إلتفت و قال بجدية

خالد: هات بطاقتك و شوف لـْـوّ هاني و لاً ياسر و لاً أي حد مـِـْن اللـيتٌ ـَ حـَـتْ ييجي و يجيب بطاقته عشان القسيمة ..

أومأ محمد براسه موافقاً و تحرك لينفذ ما طلبه خالد دون أن ينبس بشفة ..

دلف خالد الغُرفة و هو يزفر بقوة و قد بدت عليه علامات الإستياء و جلس بجانب المأذون و هو يُعدّل مـِـْن هيئته ...كانت نوسة لاتزال واقفة مترقبه لاً تدري ماذا يحدث و لاً كيف إنتهى بها الأمر أن تتزوج أخاها ..شهقت بتلقائية و وضعت يدها علـّـئ. فمها و هي مصدومة ...هل حقاً ذلك ما يحدث...هل يستجيب اللـّـه لكل دعواتها المؤجلة ...العزبة تصير رُكام...و
هي ..هي نـِـعمـًـْ تمنت لـْـوّ تتزوج شخص كخالد ...علقت صورته بذاكرتها و ظل يُطارد أحلامها ...هل دعوت لاتزوجه ... .لاً ....بل تمنيت لـْـوّ لم يكن أخي فأتزوجه ....أطرقت برأسها في يأس ....لم تكن تعرف أن خالد يتابعها و يبتسم ...كان لديه فضول ليعرف فيما

تُفكر ....وجدها ترفع راسها ثانية ..كانت تقول لنفسها..أأجد الخُلخال .....حركت رأسها بعنف و كأنها تطرهنـِ ْ هـ ْا الأفكار ....تبدو لذيذة ...كان خالد قد عقد ذراعه علـّئ. صدره و وضع إحدى رجليه فوق الأخرى مبتسماً و منتشياً بوجهها الطفولي و تصرفاتها الغير متوقعة ...أنتبه للمأذون و هو يطلب منه ان يوقع ...فوقع بحماسة ثم طلب المأذون مـِ ْ ن نوسة.أن تقترب لتوقع هي الأخرى كانت و كانها فقدت الوعي ...واقفة في مكانها تنظر لهم و لكنها لاً تراهم ...أسرع خالد نحوها فأنتفضت بفزع .لكنه لم يُمهلها و جذبها مـِ ْ ن يدها لتقترب و توقع ...حاولت ان تتملص و حاول إجبارها ... فتركها لتبتعد عنه و وقف ينظر لها و قد بدت كمن يُساق للموت .. فشعر أنه سيحتاج للحيلة ليُتم الأمر و هي مـن بدأت ..

خالد بثبات:بصي مـِ ْ ن الاخر الورقة دي تثبت اني متجوزك و هطلبك ف بيت الطاعة ...

نوسة.بخوف: الطاعة

خالد: بس لـْـوّ مضيتي ع العقد الشرعي ده ساعتها هينفع أطلقك فهمتي ..

نظرت نوسة لّـهٍ تستبين صدقه فشعرت أنه قد يكون مُحقاً ...و ليس أمامها سوى ذلك الحل ...تحركت ببطأ و أمسكت القلم و ما أن و قعت و لم تكد تترك القلم مِـِـْ ن يديها حتى وجدت خالد ينتفض واقفاً في حماسة و سعادة و يُصفق بيديه و هو يقول

خالد ضاحكاً : طب منجلكوش ف حاجة وحشة يا جماعة ...أتوكلوا علي اللّـه...بقه و سيبوني أصالح مراتي .. و اصلح غلطتي ...

ثم أضاف و هو يضع يده في جيبه: أعوضها عن تقصيري ف حقها .....

محمد و.هو يغمز بمرح: حقك يا عريس مش هنتكلم

ضحك خالد و إحتضن محمد و الشاب الآخر و المأذون و مشي بصحبتهم ليودعهم و يغلق باب الشقة ..كانت نوسة كالخُشب المُسندة ...مذعورة كمن يشهد أهوال القيامة ...أنتفضت و تراجعت للخلف حين رأت خالد أمامها و قد خلع جاكيت

البدلة و شمر عن ذراعيه و وجهه الباسم عصف بآخر ما لديها مِـْ ن رباطة جأش لِبِكِنْ القشة التي قسمت ظهر البعير حين وقع بصرها علـّئ. شيء في يده يعبث به بإستمتاع و هو يقترب منه ...كان خلخال ستها .....لم تشعر بنفسها إلا و هي تقول بصوت ضعيف ...

نوسة بصوت ضعيف: لأ كفاية كدة بقه ...

لم تكد تقول كلمتها حتى وقعت مُغشياً عليها فأسرع خالد نحوها و حملها و يُسرع بها لغُرفته و يضعها علـّئ.فراشه الذي كان قد أُعد لإستقبال العروس و زُين بالورود و أُغرق بالعطر ...اسرع و أتى بكوب ماء و نسم وجهها به ...أمسك بزجاجة عطر كانت قد وضعت علـّئ. الكومودينو و وضع علي راحة يديه و قربها مِـْ ن أنفها ...بدأت تستعيد وعيها ..فتحت عينها بتباطُأ فإصطدمت بعيناه...أنتفضت في خوف و أبتعدت عنه و وقفت عند الشباك و فتحته و قالت بهستريا ..

نوسة بهستريا صارخه : ابعد عني أحسن أرمي نفسي مِـْ ن الشباك

أنتفض خالد مرعوباً مِـ ْن علي السرير و قال و هو يُشير بيده لـِهآ لتهدأ: طب أهدي طيب ...

نوسة بغضب صارخة : ملكشي دعوة بيه

خالد بجدية: أقفلي الشباك متفرجيش الناس علينا ...

نوسة. بغضب: ملكشي دعوة بقولك

خالد و هو يقتربمنـِ ْ هـ ـِ ْ ا: طب أنا بقه اللي هرميكي مِـ ْن الشباك ..

أنصدمت نوسة مِـ ْن رد الفعل و جرت بعيداً فوقف خالد أمام الشباك و اغلقه ثم توجه نحوها و هو يقول

خالد محاولا استفزازها :أنتِ غريبة ..أنتِ جيتي رميتي بلاكي عليه ...حد ضحك عليكي و عمل عملته و جيتي تدبسيني و انا طلعت راجل و قلت أستر عليكي و ..

نوسة صارخة بغضب و هي تنقض عليه لتضربه: يتقطع لسانك ...أنا أشرف منـگ ..

أمسك بها خالد و قيدها بذراعيه ..حاولت أن تتحرر منه لكن ذلك كان يجعله يزيد مِـْ ن قبضته حولها...لم يتمالك نفسه و حاول تقبيلها فصرخت عالياً و هي تقول ...

نوسة صارخة بهلع: أنا أختك

سبني ...عيب ...سبني ..

فك خالد قبضته فقفزت نوسة بعيداً و هي تصرخ و تبكي ... و تقول بهستريا: أنا اللي جيت أتحامي فْيَگم و رمتوني ...عشت يتيمة و ابويا عايش رضعت مِـْ ن كلاب السكك عشان أمي سابتني و راحت تشوف نفسها بعد ما أبوك رماها ..أنت هنا عايش ف بيت كبير دور و اتنين و تلاتة و اربعة و انا ببات ف اوضه مِـْ ن غير سقف...أنت اتعلمت و روحت مدارس

.و أنا كنت بلم الزبالة مِـْ ن الحوش و انطرد مِـْ ن الفصل كاني جربانة عشان مليش أهل أتحامى فيهم ...أنت بقيت دكتور و أنا بقيت سوابق ...دخلت الاصلاحية و بعدها اتحكم عليه سنتين عشان خرمت عين واد كان بيطلع علي كلام

بطال...أنت بتاكل مرة و اتنين و ترفض تاكل تاني.
بمزاجك.و انا لْـوّ لقيت لقمة مرمية علـّئ.
الارض بحطها ف بوقي و اقول يمكن ملقيش أكل
النهاردة أهو أسد بيها جوفي ...الجلابية اللي
نَـ ـَتَ شايفها دي واحدة شحتتها ليـّئ. يوم ما
جيت أخرج مِـ ـْن السجن لاني معنديش هدوم و
محدش زارني مِـ ـْن 5سنين .....أنا جيت أخد
حقي منكم ...و عارفة أنكم مش هتدوني
حاجة ...زمان لما جيت هنا و كان معايا ورقة تثبت
حقي في كل العز اللي انتو فِيَه ....بلغتو البوليس و
اترميت في الاصلاحية ...و النهاردة بقه ناويين
تعملو فِيَه ايه ...

كانت نوسة تتشنج و تنتفض و تبكي و تضرب علي
صدرها و هي تحكي لخالد عما أصابها و فعله بها
الزمان ..

كان خالد واجماً تماما و هو يستمع إليها و صوت
بكائها سكاكين تُمزق حشاه ..كانت عيناه قد حررت
الدموع فتساقطت علي وجنتيه بغزارة ...و صوتها
يعتصر قلبه فأدماه مِـ ـْن الألم ..فلما سكنت و

تهاوت علي الأرض في ركن الغرفة ضمت رجليها لصدرها و تكوعت علـّئے. نفسها تتوارى .....إنهار خالد و أجهش في البكاء و علا صوت نحيبه ....كانت نوسه لاتزال تبكي و تسترق النظرات نحوه فتجده لايزال علي حاله يبكي ....شعرت نوسة أن الفرصة قد أتت لتهرب فقامتِ ْ ن مكانها و حاولت التسلل لَـگِنْ صوته أوقفها

خالد باكياً : و اللّـہ العظيم مليش ذنب ...انا قلت لماما تخلي بالها منـگ لحد ما ارجع مِـ ْ ن السفر ....و لما رجعت و مالقيتكيش زعلت معاها و حاولت اعرف طريقك يس ملقتشي ليكي أثر...

ثم اضاف محاولاً إستعطافها: طب افتكري كده مين اللي كان بيأكلك و يسهر جانبك و أنت عندك الحُمى .فاكرة أخر مرة شفتك فِيَه ....فاكرة قلت لّـگ ايه...قلت لّـگ ان ده بيتك و ان محدش هيضايقك أبداً ...

اجهش خالد في البكاء و نوسة تنظر لّـهٍ و قد بدت متأثرة ...أسترجعت تلك الأيام ...كان صادقاً فيما

قاله ...نيعمً ـْ لم ترى منه سوء....لعل ما قاله هي الحقيقة و أن كل شيء كان بفعل أمه ...لانت ملامحها و قالت بتلعثم

نوسة بتلعثم: طب بطل عياط....

لم يرد عليها ...فإقتربت منه بحذر و قرفصت علـّئ. مقربة منه و مدت يدها لتربت علي ظهره و قالت

نوسة : طب معلشي..

تطلع خالد نحوها بعينين داميتين و حاول إستجماع نفسه و قال: و ملـّ ـہ ملیش ذنب و انا هكتب لـگ كل حقك و زيادة كمان تعويضاً عن اللي حصلك ....

ثم استطرد و هو يمد يده ليمسك يديها و عينه في عينها و حاول إستمالتها بإبتسامة حانية: بس متسبنيش ..

لم تشعر نوسة بنفسها و هي تُبادله الإبتسامه و تستسلم لـهٍ ليضمها في حضنه ...فهو رغم كل شي أخوها. ظلت علـّئ. تلك الحالة حتى إستسلمت

للنوم ....شعر خالد أنها قد سكنت فابعدها عن حضنه و هو مبتسم و حملها بين ذراعيه و وضعها برفق علي الفراش و جلس بجانبها و عيناها تُقبل كل جزءمنِْ هـِّْ ا ...مد يده و فك حجابها و بدأ يعبث في شعرها و يتحسس وجهها بأصابعه ...كان مستمتعاً و منتشياً و لم يتمالك نفسه فقرب وجهه منِْ هـِّْ ا و هبط علـّئ. وجنتها فقبّلها ثم لم يتمالك نفسه فهوى علـّئ. شفتيها يُقبلها فلم يكد يلمس شفتاه فمها حتى أنتفضت مذعورة و دفعته بعيدا و هي تصرخ و تمسح بيده‌ا بقوة علـّئ. فمها لتزيل أثر فعلته الشنيعة ...حاول خالد أن يُهدئها

خالد: طب إهدي الموضوع مش زي ما انتِ فاهمه

لَـگِنْ نوسة ظلت تصرخ و تسبه و تضرب في الارض برجليها فلم يجد خالد مهـِْن بُد إلا أن يقتربمنِْ هـِّْ ا بسرعه و يُقيدها بكلتا يديه لكنها لم تهدأ و زادت فما كان منه الا ان حملها و القي بها بقوة علي السرير ...و صرخ فيها

خالد بغضب: أنا مش زفت أخوكي ...انا ابن عمك ...و ابوكي اتجوز امي بعد ما بابا مات و انا صغير

نوسة صارخة و هي تنتفض علي السرير بهستريا: كذاب اسمك خالد شاهين و.اسم ابويا شاهين

خالد بغضب: اسمي خالد أحمد شاهين ....خالد شاهين ده اسم الشهرة ...

نوسة بإنفعال: طب ما جايز انا ابقه برضوا بنت احمد شاهين

خالد بغضب: ازاي و أبويا ميت قبل ما تتولدي بخمستاشر سنة ..

ساد دقائق صمت ظلت نوسة في مكانها علي السرير تقف علـّئ. ركبتيها متحفزة و تنظر لخالد بغضب لم يلين رغم نظراته الحانية ...حتى وجدته ينصرف مِـْ ن أمامها و يخرج مِـْ ن الغُرفة ...تعلق بصرها بالباب حتي عاد و في يده شيء اقتربمنـِْ هـ ـِّْ ا فإنتفضت واقفة بعيد عن السرير فالقاه امامها ...

خالد: دي بطاقتي و فيها أسمي و الدولاب اللي وراكي ده في شنطة في أرضيته هتلاقي فيها شهادة وفاة بابا هتثبت لّـگ ...

ظلت نوسة تنظر في البطاقة و تنظر لّـهٍ و كانها ضابط في كمين شرطة. ..بدات ملامحها تلين و نظرت لّـهٍ قائلة بارتباك

نوسة: طب لما انَتَ ابن عمي سافل ليه بقه و قليل الادب ....

لم تكد نوسة تُكمل سيل السباب حتي وجدت نفسها بين ذراعيهو يرفعها مِـ ْن علي الارض و يضغط عليها بقوة و هو يقول

خالد غاضبا: بطلي قلة ادب بقه و زفارة لسان إنا مستحملك مِـ ْن الصبح بس خلاص كل حاجة اتعرفت ...

نوسة بغضب و هي تحاول تحرير نفسها: سبني

القى بها خالد مرة ثانية علي السرير و قال بجدية زائفة: لْـوّ لسانك بقي يقول الألفاظ دي تاني هقطعه

لّـگ و أعمله شوربة ....انا مطلعتش أخوكي صحيح بس بقيت جوزك ..

نوسة بإرتباك: و هو ينفع

خالد بسخرية: هو أيه اللي ينفع ...نكونشي راضعين عليـّے بعض

نوسة بتذمر: متتريقشي

خالد: ما انَـَت هتجنيني ...مش كتبنا الكتاب و كان في شهود ...نبقي اتجوزنا

نوسة بتلعثم: هو و بس و كدة و خلاص

خالد ضاحكاً : اه شفتي ازاي ..

لم تتمالك نوسة نفسها وضحكت فأقترب منـِ ْ هـ ـِ ْ ا خالد و جلس بحانبها و قال بمرح : قال قولي ليـّے بالحق كنتِ هتعملي ايه بالعشرين جنية اللي كنتِ طالبهم حق الورق ...

أنفجرت نوسة ضاحكة و خالد ينظر لـِهآ بوله فإنتبهت لّـهِ فتوارت بنظرها بعيداً ...مد يده يُرجع شعرها بعيداً عن وجهها و يتحسس بأصابعه

شفتيها...و قرب وجههنـِـْ هـ ـِـّْ ا و طبع قبلة علـّئ. خدها و....

.....

تعالى الصراخ ليشق الظلام و هرع مجدي و عاد بعد دقائق و تلحق به أم حسين القابلة ..دخلت أم حسين الغرفة و بعد دقائق أتي مجدي بالماء الساخن و عاد ليجلس في الصالة حتى أتي صوت ام حسين تُزغرط و صوت الصغير يدوي ....فأسرع للداخل ليجد ام حسين تُبشره ...

أم حسين: ولد يا ابو شِحته ..

حمل محدي الصبي. بسعادة و اخرج حافظته و كما اعتاد أعطاها 5 ورقات مـِـْن فئة المئتان جنية و تركها ليضع الصغير في حضن رحمة و يُقبلها بإمتنان ..

مجدي بسعادة: ربنا يخليكي ليه يا رحمة و عقبال ما تخاويه

كانت رحمه لم تسترجع وعيها حتى سمعت جملة مجدي ففتحت عيناها علـّئے. اخرها و قالت بصدمة: أخاويه ازاي ...ده الخامس يا حاج

مجدي بتذمر: بس انا كنت عاوز بنت

رحمة بدهشة: سلامتك يا مجدي ...ما عندنا أم احمد ...هي صحيح مستقويه بس بنت برضه ...

قام مجدي مـِـْن مكانه غاضباً فتمالكت رحمة نفسها و رسمت إبتسامة علي وجهها و نادت عليه قائلة: طب تعالى متزعلشي نجيب لـگ بنت

عاد مجدي لحضنها كطفل صغير و ظل يردد: انا بحبك يا رحمة و مقدرشي اعيش مـِـْن غيرك ...

ضمت رحمة مجدي لصدرها و مسحت علـّئے. شعره بحنان و هي تقول: انا اللي مكنتش عايشة مـِـْن غيرك ....

.....و تمت